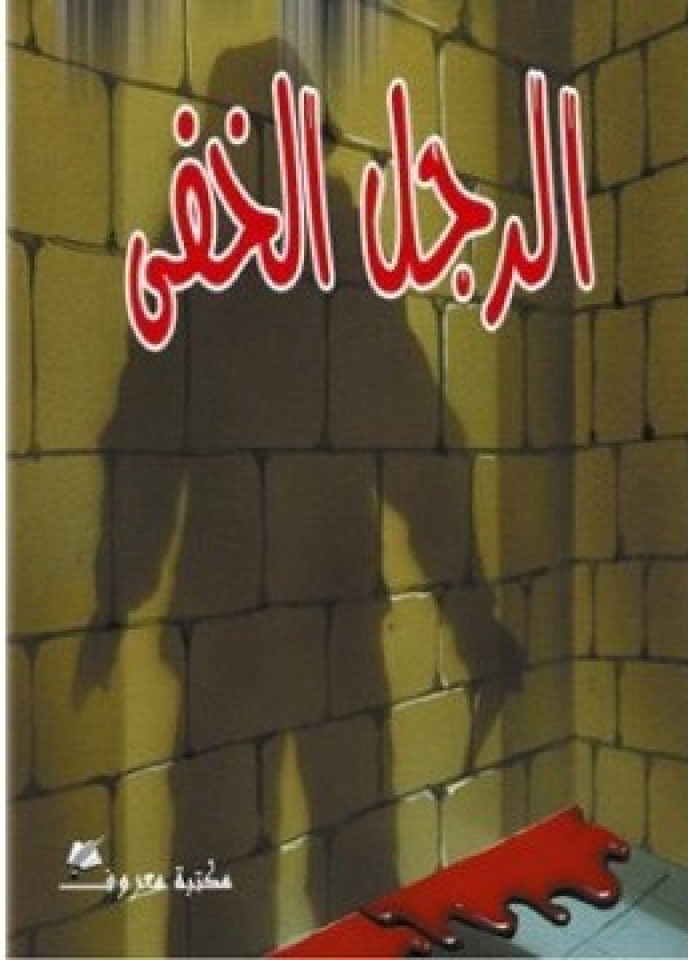

الرجل الخفي
مكتبة معروف

أجاثا كريستى

الرجل الخفى

معروف أخوان

الاسكندرية ـ ٤٨١٠٨٢٨/٤٨٤٦٤١٠ فاكس ـ ٤٨٦٠٠٨٩ القاهرة ـ ٤٠٣٤٠٤٢
ص.ب.٣٧ الاسكندرية E-mail:maarou2004@hotmail.com

الفصل الأول

وقعت هذه الأحداث فى ليلة مشهودة وهى ليلة رأس السنة .

ففى منزل آل رويستون اجتمع عدد من الأصدقاء للاحتفال بهـذه المناسـبة حيـث جلسوا فى القاعة الكبرى ، وبينهم جلس مستر ساترويت الـذى شـعر بالـسعادة لانصراف الصغار .. كان فى الثانية والستين من عمره نحيل الجسد منحنى القامـة يبدو على وجهه الفضول والاهتمام بما يوجد من أسرار فى حياة الناس ، وخلال حياته الطويلة كانت هوايته المفضلة هى مراقبة الآخرين ومعرفـة مـاطبعوا عليـه من خصال الخير أو الشر ، وعندما أصبح شيخاً عجوزاً بدأ يتطلـع إلى دور أبعـد من الجلوس للمراقبة .. أراد أن يلعب دوراً حقيقياً .

شعر بغريزته إن نُذُر جريمـة مـاتتجمع فـى الأفـق وإنهـا سـتقع حتمـاً ، ان هـذا الشعور ينتابه منذ أن دخل إلى منزل آل رويستون .. قال لنفسه :

ـ اننى واثق أن حادثاً مثيراً سوف يقع هنا قريباً جداً

كان الحاضرون توم ايفشام صـاحب البيـت ويتميـز بالرقـة واللطـف ، وزوجتـه الليدى ايفشام التى تهتم كـثيراً بـأمور الـسياسة ، وكانـت قبـل الـزواج تـدعى الليدى لوراكين ، والسير ريتـشارد كونـوى الـضابط الـسابق والرحالـة عاشـق الصيد ، بالإضافة إلى بعض الشباب ثم آل بورتال .

كان آل بورتال هم موضع أهتمام مستر ساترويت رغم أنها المرة الأولى التى يرى فيها اليكس بورتال ،لكنه كان يعرف عنـه كـل شـئ ويعـرف ابـاه وجـده .. تميـز اليكس بشعره الذهبى وعينيه الزرقاوين فكان يناهز الأربعين من عمـره يعـشق الصيد والرياضة ويتميز بتفكيره الواقعى .

أما زوجته فكانت مختلفة تماماً .. فهى من أصل استرالى تعرف بها مـستر الـيكس

بورتال فى استراليا خلال قيامه برحلة هناك فأحبها وتزوجها ثم عاد بها إلي انجلترا التى كانت الزوجة تراها لأول مرة ، وشعر مستر ساترويت بأنها تختلف عن باقى النسله الاستراليات اللائى عرفهن .. راح يراقبها من طرف خفى .. كانت تفيض بالحيوية رغم ميلها الدائم إلى الصمت ، ومع أنها لم تكن بارعة الجمال إلا أنها كانت شديدة الجاذبية وكان أكثر مايحير مستر ساترويت هو هذا السؤال :

- لماذا تضبغ شعرها باللون الأسود ؟

كان تصبغ شعرها بطريقة متقنة للغاية لايلاحظها إلا الخبير ، فمن العجيب أن تقوم امرأة ذات شعر ذهبى بتغيير لونه إلى اللون الأسود ، فقدجرت العادة على أن يحدث العكس .. بل إنها المرة الأولى التى يشاهد فيها ذلك .

وكانت هناك أشيله أخرى تلفت نظر مستر ساترويت فى مسز بورتال فهو لايعرف هل هى سعيدة للغاية أم شقية غاية الشقاء .

وشعر ساترويت يتأثيرها الكبير على زوجها .

قال الرجل لنفسه :

- ان الرجل يعشق زوجته ولكنه فى نفس الوقت يخشاها .

ولاحظ ساترويت وغيره أن اليكس بورتال يسرف فى تناول الشراب وأنه يختلس النظر إلى زوجته بطريقة مثيرة للتساؤل .

وبغريزته شعر مستر ساترويت بأن الحدث المثير الذى يترقبه يتعلق بأحد هذين الزوجين ..

قال مستر ايفشام : الآن وقد انتصف الليل وبدأ عام جديد .. أتمنى أن يكون سعيداً للجميع وقالت زوجته :

- يالها من مناسبة تدفع المرء للعودة بذهنه سنوات إلى الوراء وتذكر الأصدقاء القدامى

فقال لزوجها : لورا .. إن هذا الوقت غير مناسب للحديث عن الماضى .

ثم نهض ليضيئ أحد المصابيح فقالت زوجته :

ـ اننى حقاً حمقاء ، فقد جعلته يتذكر صديقه الحميم مستر كابل

ثم تحدثت اليانور بورتال بصوتها الذى ظن ساترويت أنه سمعه من قبل وقالت :

ـ المستر كابل ؟

ـ نعم .. إنه الرجل الذى كان يمتلك هذا البيت من قبل والذى انتحر بإطلاق النار على نفسه .. لايجب أن يتذكر زوجى الأمر فقد كانت صدمة شديدة عليه لأنه كان هنا عندما انتحر مستر كابل .. وكنت أنت أيضاً هنا ياسير ريتشارد ؟

قال السير ريتشارد كونوى : نعم ياليدى لورا .

فقالت الليدى لورا وهى تنظر إلى مسز بورتال : لقد انتهى الاحتفال .. فماذا نفعل ؟

قالت اليانور بورتال وهى تنهض : نذهب فوراً إلى الفراش

أوقد لها مستر ساترويت مصباحها وهو يقول لنفسه (مالها شديدة الامتقاع هكذا ؟ لقد كانت على مايرام منذ قليل !

حملت اليانور بورتال مصباحها وصعدت إلى الطابق العلوى فى صمت بينما كان مستر ساترويت يشعر بالقلق من أجلها ويود لو ذهب لحمايتها من الخطر ، ولكنه سخر من نفسه وهو يتخيل أن كل هذا من فرط الإرهاق العصبى الذى يشعر به ، لاحظ أنها تلتفت إلى الوراء وتنظر إلى زوجها نظرة طويلة، وعقب ذلك نهضت لوراء ايفشام وهى تقول :

ـ عيد ميلاد سعيد .. أتمنى أن يكون أول من يدخل المنزل رجلاً اسمر أسود الشعر .. فلاشك أنك تعرف هذه الخرافة يامستر ساترويت وهى أنه يجلب معه الحظ السعيد فى رأس السنه ..

جلس الرجال الأربعة يتبادلون الحديث فى شتى المسائل حتى تطرق الحديث الى

مستر كابل صاحب المنزل السابق والذى مات منتحراً فقال السير ريتشارد كونوى :

ـ مستر ساترويت .. هل كنت تعرف مستر كابل ؟

فأجاب ساترويت بأنه كان يعرفه قليلاً ونفى اليكس بورنال أن يكون قد رآه من قبل ، ولاحظ ساترويت أن بورتال نطق عبارتة بلهجة جافة فاندهش لذلك بينما قال توم ايفشام :

ـ كم أمقت حديث زوجتى حول هذا الموضوع ، فبعد وقوع الحادث تم بيع المنزل .. لرجل أعمال قضى به حوالى عام ثم باعه بثمن بخس وترددت شائعات عن وجود شبح لصاحبه المنتحر ، وقد وجدنا أن ثمن هذا المنزل منخفض ممايناسب ظروفنا فاستأجرناه ، وإننى لاأحب الخوض فى الحديث عن صديقى المنتحر ديريك كابل فلن يمكننا معرفة أسباب انتحاره .

قال اليكس بورتال بصوت يدل على إفراطه فى الشراب : هناك الكثيرين الذين انتحروا بدون أسباب واضحة ..

تأمل ساترويت وجه بورتال قليلاً ثم قال لنفسه : إنه ليس فى حالته الطبيعة ومن المؤكد أن لديه مايضايقه .

قال ريتشارد كونوى : إن عويل الرياح شديد بالخارج .

قال بورتال باستهتار : يبدو أن الأشباح والشياطين ترتع حولنا .

قال كونوى : إن أكثر الأشباح سواداً سوف يجلب لنا الحظ السعيد .. ماهذا ؟

وسمع الجميع طرقات على الباب الخشبى الضخم فقال توم ايفشام بدهشة :

ـ ترى من الذى يطرق الباب فى هذا الوقت ؟ .. سوف أفتح الباب بنفسى فقد نام الخدم .

فتح الباب فرأى أمامه رجلاً طويل القامة يرتدى ملابس القيادة .. كان طويل القامة نحيل الجسد اسمر الوجه .. دخل وقال معتذراً :

ـ أرجو المعذرة أيها السادة فقد تعطلت سيارتى بالخارج والسائق يحاول إصـلاحها ، ولم أستطع البقاء فى البرد القارس .. فهل ..

فقال توم ايفشام : بالطبع ياسيدى .. يمكنـك أن تتفـضل بالـدخول ، ولكننـا لـن نستطيع المساعدة فى إصلاح السيارة .

ـ شكراً لك ياسيدى .. ان السائق خبير بإصلاح السيارات .. اسمى هارلى كوين .

فدعاه توم ايفشام للجلوس وعرفة بالحاضـرين فتبـادل معهـم التحيـة ثـم تنـاول الشراب من توم ايفشام الذى قال له : هل تعرف هذه النواحى جيداً ؟

قال هارلى كوين : عرفتها منذ عدة سـنوات .. وكـان صـاحب هـذا المنـزل يـدعى مستر كابل .

ـ هل كنت تعرفه ؟

فأشار الرجل بالإيجاب فقال توم ايفشام بدون تحفظ :

ـ من العجيب أننا كما نتبادل الحـديث حـول مـستر كابـل الآن ، وكنـت أنـا و السير ريتشارد كونوى هنا عندما مات كابـل ، وإننـى أتوقـع أن أرى شـبحه بـين لحظة وأخرى

قال كوين : كان حادثاً عجيباً من الصعب تفسيره

قال كونوى متحمساً : نعم .. إنه سر غامض أتمنى إماطـة اللثـام عنـه ، فقـد كـان كابل مرحاً متفائلاً لايشعر بهموم الحياة ، وفي تلك الليلة دعـا بعـض الأصـدقاء إلى منزله وخلال العشاء كان فى حالة نفسية رائعة وتحدث كثيراً عن مـشروعاته للمستقبل ، وبعد أن انتهى من العشاء صعد إلى غرفته مباشرة وأطلق النار علـى نفسه ، ولا أحد يعرف لماذا فعل ذلك ؟

قال مستر هارلى كوين وهو يبتسم :

ـ ان هذه ليست حقيقة مسلَّما بها

ـ ماذا تعنى ؟

ـ أعنى أن أحداً لم يحاول معرفة لغز انتحاره .

ـ ربما كان ذلك ممكناً فى حينه . أما الآن وبعد عشر سنوات فمن المستحيل أن يتمكن أحد من ذلك .

قال كوين :

ـ كلا ياصديقى ، بل أن مرور الزمن فى كثير من الأحيان يزيد الأمور وضوحاً ويجعل الباحث المدقق يفهم حقائق الأمور .

فصاح بورتال قائلاً : إننى أؤيد وجهة نظرك يامستر كوين فالزمن يجعل المرء يرى الأمور من زاوية مختلفة .

قال ايفشام وهو يبتسم :

ـ ترى هل يمكننا أن نعرف سر انتحار مستر كابل إذا ماحاولنا بحثه الآن ؟

ـ نعم ، فقد اختفت الآن النزاعات الشخصية ووضحت الحقائق كثيراً ولن يكون لمشاعرنا الخاصة تأثير على أفكارنا ، فلنبدأ الآن وعلى كل منكم أن يذكر رأيه ونظريته فى الحادث حتى نختار نظرية منها ونبحثها .. سير ريتشارد مارأيك ؟

قطب السير ريتشارد كونوى حاجبيه ثم قال :

ـ ظننا أن الدافع لديه كان الفشل العاطفى أو أزمة مالية .. ولكن ثبت بعد ذلك أن حالته المالية كانت جيدة ، فلاشك أن السبب كان هو المرأة .

أجفل ساترويت قليلاً عندما لمح شبح امرأة تكمن فى الشرفة العليا بحيث لايمكن لأحد من الجالسين فى القاعة أن يراها ، ومن الواضح أنها كانت تسترق السمع ، واستطاع أن يعرفها من ثوبها .. كانت هى اليانوربورنال ..

وفجأة سطعت أمامه الحقيقة .. فلم يكن حضور هارلى كوين بمحض الصدفة ، بل أنه دخل في اللحظة المناسبة تماماً كما يدخل الممثل لآداء دوره على خشبة المسرح ،

بل إن لديرك كابل دوراً رئيسياً فى هذه المسرحية .

وأدرك ان مستر هارلى كوين هو الذى قام بإعداد كل ذلك وهو الذى قام بتوزيـع الأدوار على الممثلين وقام بتحريكهم على خشبة المسرح ، بـل إنـه يعـرف كافـة الحقائق ويعرف أيضاً ان هناك امرأة تسترق السمع خلف سور الشرفة .

قال كوين : من المؤكد أن الدافع كان امرأة .. ترى هل تحـدثتم عـن إمـرأة خـلال العشاء ؟

قال توم ايفشام :

ـ نعم .. لقد تذكرت أنه تحدث عن فتاة كان ينـوى التقـدم لخطبتهـا ، وهـذا ماجعلنـا نزداد عجباً لانتحاره ، فكيف ينتحر بعد أن أعلن أنه سيخطب فتاه حسنه بعد أيام ؟

وقال كونوى : وعرفنا اسم الفتـاة بـدون أن يـصرح بـه .. كانـت هـى مـارجورى ويلك الحسنه .

قال المستر كوين لتوم ايفشام :

ـ هل تعتقد ذلك يامستر ايفشام ؟

ـ لست أدرى .. فقد ذكر لنا أنه سيخطب فتاة جميلة ولن يعلن الأمر إلا بعد فـترة معينة وبعد أن يحصل على موافقتها ، وقد وصف نفسه بأنه رجل محظوظ للغاية ، وأنه سوف يصبح من أسعد الناس بعد ذلك ، وانصرف ذهننا إلى مارجورى فقـد كانت علاقته بها قوية .

قال كونوى متردداً : ولكن إذا كانت هى مارجورى ويلك فلماذا أخفى اسمها علينا ؟ لقد تخيلت وقتها أن خطيبته امرأة مطلقة أو أرملة مات زوجها حديثاً ..

قال توم ايفشام :

ـ إن هذا يتفق مع المنطق تماماً ويفسر لنا لماذا أخفى اسم خطيبته ، وربمـا يمكـنكم العودة سنوات إلي الوراء لتذكر فتور العلاقة بينه وبـين مـارجورى خـلال العـام

الأخير من حياته

قال مستر كوين : ان هذا شئ عجيب !

ـ وهذا يدل على وجود امرأة أخرى فى حياته

قال ايفشام : كان ديريك فى غاية السعادة قبل وفاته ..

اختلس ساترويت نظرة سريعة إلى أعلى فلمح اليانور بورتال وهى ماتزال قابعة فى مكانها تسترق السمع .

قال ريتشارد كونوى :

ـ نعم .. كان سعيداً للغاية كالمقامر الذى غامر بكل ثروته وربح رغم صآلة احتمـال المكسب وقال بورتال : ربما كان يستمد الشجاعة من الأمر الذى عزم عليه .

قال ايفشام بحدة :

ـ كلا .. بل إننى واثق أن شيئاً من هذا لم يحدث ويمكننى أن أقسم على ذلـك .. إننـى أؤيد رأى كونوى ، فقد بدا ديريك كابل كالمقامر الذى ربح مالم يتوقعه ولم يصدق .

قال كوتوى : ورغم ذلك فقد أطلق النار على نفسه من مسدسه بعد دقائق !

لاذ الجميع بالصمت وهم يفكرون فى هذا اللغز وفجأة صاح توم ايفشام قائلاً :

ـ من المؤكد أن شيئاً ماحدث خلال هذه الدقائق القليلة .. ترى ما الذى حـدث ؟ فلنحاول التذكر .. كنا نتحدث سوياً عندما تركنا ديريك وصعد إلى غرفته .

قال كوين : ولماذا صعد ؟

قال ايفشام :

ـ فى ذلك الوقت لم نهتم بالأمر ولم نحاول معرفة السبب .. نعـم .. لقـد تـذكرت ياكونوى ..

لقد سمعت صوت الجرس وقتها وتبين أنه ساعى البريد ، وكنا فـى ذلـك الوقـت محاصرين فى البيت بسبب العاصفة الثلجية العاتيـة التـى اسـتمرت ثلاثـة أيـام

وأغلقت الطرق ، ولم تصل إلينا الصحف أو الرسائل ، ذهب كابل إلى الباب ثم عاد إلينا وهو يحمل مجموعة كبيرة من الصحف والرسائل .. فتح إحدى الصحف ثم حمل الرسائل وصعد بها إلى غرفته وبعد حوالى ثلاث دقائق سمعنا الطلق النارى .

قال اليكس بورتال :

ـ ربما طالع كابل نبأ ما فى إحدى الرسائل ؟

قال كونوى :

ـ لقد فكرنا في هذا الاحتمال بالطبع وتبين من التحقيق أ نه لم يفـتح أى رسـالة حيث وجد المحققون الرسائل كما هى فوق المنضدة دون أن تمس .

قال بورتال متردداً : من الجائز أنه قرأ إحدى الرسائل ثم تخلص منها بأى وسيلة .

ـ وهذا الاحتمال أيضاً قمنا ببحثه فلم نعثر على بقايا ممزقة أو محترقة لأى رسالة .

ـ ياله من أمر عجيب حقاً !

قال ايفشام : لقد كان حادثاً رهيباً .. صعدنا إلى غرفته بعد أن سمعنا صوت الطلقة النارية فوجدناه جثة هامدة .

قال مستر كوين : هل قمتم بالاتصال بالبوليس ؟

ـ كان التليفون معطلاً ومن حسن الحظ اننا وجدنا أحد رجال الـشرطة بـالمنزل ، حيث كان يحمل معه أحد كلاب مستر كابل وكان قد ضل الطريق خـلال الليلـة السابقة ، وقد حضر قبل دقيقتين من انتحار مستر كابل ثم دخل إلى المطبخ ليعـد لنفسه قدحاً من الشاى .

قال كونوى وهو يستعيد تلك الأحداث :

ـ كانت العاصفة الثلجية رهيبة وكنا فى شهر يناير كما أعتقد .

ـ كلا .. كنا فى شهر فبراير حيث قمنا برحلة إلى الخـارج بعـد وقـت قـصير مـن وقوع الحادث .

ـ بل إننى واثق أن ذلك كان فى شهر يناير ، لأن حارس مزرعتى العجوز (نيـد) أصيب فى ساقه وذلك فى أواخر شهر يناير عقب الحادث بأيام قليلة .

ـ ما أصعب أن يتذكر المرء التاريخ بدقة بعد مرور السنين .

قال مستر كوين :

ـ أنت على حق ياسيدى .. وربما تذكر الإنسان التاريخ بدقة إذا صادف ذلك وقوع حادث هام آخر مثل رحيل أحد الحكام أو وقوع حادث غير عادى .

هتف كونوى قائلاً : نعم .. لقد وقع الحادث قلب أيام من قضية ابلتون الشهيرة .

ـ تعنى وقع بعدها ؟

ـ بل قبلها فقد كان كابل يعرف آل ابلتون ، وقضى عدة أيام مع ابلتـون العجـوز قبل موته ، كان هذا العجوز رجلاً كريهاً ومن المؤكد أن زوجتـه الحـسنه عانـت الكثير منه ، وبدا من الواضح أنها هى التى قتلته بواسطة السم .

قال توم ايفشام :

ـ لقد تذكرت شيئاً هاماً .. فقد طالعـت في الـصحيفة التـى وردت مـع الرسـائل يومها أن الأمر قد صدر باستخراج جثة العجوز ابلتون لتشريحها، ولم أهتم بهـذا الخبر وقتها .

قال مستر كوين : دائماً مانفكر فى أشياء تافهة أوقـات الأزمـات ولـذلك نهمـل أموراً فى غاية الأهمية ، ويعود ذلك غالباً إلى حالة الانفعال التى تسيطر علينا .

قال كونوى : أنت على حق ياسيدى ، فإننى أذكر الآن أشياء تافهة .. كـان ديريـك كابل ملقى على الأرض والشجرة الكبيرة أمام نافذته تلقى بظلالها علـى الثلـوج من تحتها .. يا إلهى إننى أكاد أرى المنظر فى غاية الوضوح الان .

قال مستر كوين : كانت غرفته فوق الشرفة السفلية أليس كذلك ؟

ـ نعم .. وكانت الشجرة في المنعطف الذى يقع فى الممر المؤدى إلى البيت .

كان مستر ساترويت يتطلع إلي وجه مستر كوين وهو واثق أن كل كلمة ينطق بها تحمل دلالة معينة فشعر بالانفعال .

بعد قليل قال توم ايفشام :

ـ ما أشد الضجة التى أحدثتها قضية ابتلون ! ومن العجيب أن المرأة الحسناء أفلتت من حبل المشنقة .. كانت جميلة شقراء الشعر تغرى المرء بالتطلع إليها .

تطلع ساترويت إلى الشرفة التى تختفى المرأة خلفها فلاحظ أنها ازدادت انكماشاً على نفسها ، وشعر بتحطم كأس بالقرب منه فالتفت إلى مصدره فرأى اليكس بورتال وهو يقول معتذراً :

ـ أرجو المعذرة .. فقد سقطت الكأس من يدى .

قال له ايفشام مهدئاً : لاتبتئس ياصديقى .. لقد جعلتنى هذه الكأس أتذكر شيئاً مافى قضية ابلتون .. فقد تعمدت مسز ابلتون تحطيم الزجاجة التى اعتاد زوجها أن يحتفظ فيها بالشراب .

ـ نعم .. فقد رآها أحد الخدم وهى تحطم الزجاجة عمداً بعد يوم واحد من وفاة زوجها ، وبالطبع فقد لفت ذلك أنظار الخدم الذين يعلمون أنها تعيش فى تعاسة مع زوجها ، وبدأت الأقاويل من هنا ، وبعد شهر قدم أقارب ابتلون طلباً لاستخراج الجثة وتشريحها حيث ثبت ان الوفاة حدثت بفعل الزرنيخ .

ـ بل إنه سم الاستركنين .. هذا لايهم .. المهم أنه قتل بواسطة السم ، وبالطبع كان الاتهام مسلطاً على الزوجة الحسناء التى قدمت للمحاكمة ، ولكن الأدلة ضدها لم تكن كافية فتم إطلاق سراحها ، إننى واثق أنها هى القاتلة .. ولاأعرف أين هى الآن .

ـ سمعت انها هاجرت إلى كندا أو استراليا إلى عمها .

لاحظ ساترويت أن بورتال كان متوتراً للغاية بينما كان توم ايفشام يقول :

ـ للأسف لم نعرف لماذا انتحر مستر كابل ولم تنجح جهود المحققين فى إماطة اللثام عن ذلك .. أليس كذلك يامستر كوين ؟

أطلق مستر كوين ضحكة ساخرة وقال:من الواضح أنكم مازلتم تنظرون للأمور نفس النظرة القديمة بعكس الحال معى أنا الشخص الغريب .

قال ايفشام : إننا لانفهم ماذا تعنى ؟

قال كوين : فلننظر إلى الأمور نظرة خالية من العواطف الشخصية .. خلال تلك الليلة تناولتم طعام العشاء وأعلن ديريك كابل عليكم نبأ خطبته وأعتقدتم ان خطيبته هى مارجورى وكان يشعر بالسعادة والسرور ، وبعد قليل رن جرس الباب فذهب هو وعاد حاملاً بعض الرسائل وصحيفة ، وتبين بعد ذلك أنه لم يفتح أى خطاب ولكنه فقط تصفح الصحيفة ، ومن الطبيعى أنه من الصعب عليكم استعادة الأحداث بعد عشر سنوات ، فربما طالع نبأ زلزال أو أزمة اقتصادية ، والآن علمنا أن هذا النبأ كان هو التصريح باستخراج جثة مستر ابلتون لمعرفة سبب وفاته .

صعد ديريك إلى غرفته فى تلك اللحظة ، وقد علمنا من مستر كونوى أن الستائر لم تكن مسدلة على النافذة وانه رأى الشجرة والمر ، ولاشك ان كابل رأى شيئاً ما .. ترى ما هو ؟ لاشك ان هذا الشئ هو الذى دفعه للانتحار .

لقد رأى الشرطى قادماً ولم يدرك أنه يحمل الكلب وظنه قادماً لسبب آخر

تعمد مستر كوين الصمت فهتف ايفشام قائلاً :

ـ ماذا تعنى ؟ كلا .. لاتقل إن ديريك هو الذى قتل ابلتون العجوز ، فقد مات بعد أن غادر ديريك منزله بأسبوع .

ـ أعلم ذلك ولكنه كان مقيماً لديه وكان من أسهل الأمور عليه أن يقوم بوضع الاستركينين في شراب الرجل ، وهو سم لايذوب في الكحول ويترسب فى قاع

الزجاجة ، وعندما يتجرع المرء الكأس الأخيرة تحدث الوفاة ، وهكذا يمكن أن يموت الرجل بعد أسبوع من زيارة ديريك .

قال اليكس بورتال بحدة :

ـ فلماذا حطمت زوجة ابلتون الزجاجة عمداً ؟

قال مستر كوين لمستر ساترويت :

ـ من الواضح أن لديك خبرة كبيرة بالحياة يامستر ساترويت فهل يمكنك أن تعرف السبب ؟

قال ساترويت :

ـ نعم .. من الواضح أنها كانت تحب ديريك كابل ولكنها كانت مخلصة لزوجها وطلبت من ديريك الرحيل قبل أن تنهار مقاومتها ، وعندما توفى زوجها بعد رحيل ديريك بدأت تشك فى أنه هو الذى دس السم فى زجاجة الشراب فحطمتها حتى لاتتجه إليه الشبهات ، وعندما صارحته بذلك أقنعها بعدم صحة شكوكها واتفقا على الزواج بعد فترة .

هتف ايفشام قائلاً بدهشة : ما هذا ؟

كان مستر ساترويت يعلم أنها اليانور بورتال ولكنه ظل صامتاً بينما نهض كوين وقال :

ـ لاشك أن السائق انتهى من إصلاح السيارة فشكراً لكم على هذه الضيافة وأرجو أن أكون قد أديت خدمة لصديقى .

نظر إليه الجميع بدهشة فقال :

ـ نعم .. لقد أحب مسز ابلتون بجنون وعندما أدرك أن أمره سوف ينكشف قتل نفسه وترك حبيبته تواجه مأزقاً صعباً .

قال ايفشام : ولكن المحكمة برأت ساحتها .

ـ ذلك بسبب ضعف الأدلة فقط ، ولاشك أنها مازالت تتعرض للحرج حتى الآن !

دفن اليكس بورتال وجهه بين يديه بينما قال كوين لساترويت :

ـ وداعاً يامستر ساترويت .. ترى هل اعجبتك هذه المسرحية الواقعية ؟

ثم اختفى كوين فجأة كما ظهر فجأة .

صعد ساترويت إلى غرفته وبينما هو يسدل الستائر لمح كـوين يتجـه إلى سـيارته وبعد لحظات فتح الباب الجـانبى للمنـزل وخرجـت منـه امـرأة تـركض بـسرعة متجهة إلى كوين حيث تبادلت معه بعض الكلمات قبل أن تعود إلى المنـزل وقـد انفرجت أساريرها وظهرت على وجهها دلائل النشاط والحيوية والسعادة .

عندما صعدت إلى غرفتها هتف زوجها اليكس بورتال قائلاً :

ـ اليانور .. أرجو مغفرتك .. فقد أسأت بك الظن ، والآن ثبتت براءتـك .. لقـد أخبرتنى عن أسباب هذه المأساة ولكننى لم أصدق .

ابتعد مستر ساترويت حتى لايسترق السمع .. وقبل أن يبتعد تماماً سمـع اليـانور تقول لزوجها :

ـ اننى أقدر موقفك يا اليكس وألتمس لك العذر ، فما أشق الحيـاة فـى جحـيم الشك ، بل اننى تعرضت لهذا الموقف طويلاً ، فقد أحببت ديريك كابـل وعنـدما ساورنى الشك فى انه هو الذى قتل زوجى بـدأ الـشك يعـصف بـى ويمزقنـى ، ومن المؤكد أن هذا كان شعورك وأنت تشك فى اننى قاتلـة زوجـى ولم يفارقـك الشك خلال السنوات السابقة ، بل إنك كنت تخشى أن أقدم على قتللك أيـضاً كما قتلت زوجى السابق !

وأخيراً ظهر لنا هذا الرجل الغريب كالـشبح الخفـى ليطلعنـا علـى الحقيقـة ثـم يختفى .. بل إنه أنقذنى من الموت .

هتف بورتال بجزع : الموت ؟

ـ نعم .. فقد كنت أنوى الانتحار الليلة بعد أن تغلغل اليأس فى قلبى .

الفصل الثا

جلس مستر ساترويت ينصت إلى الليدى سنيشيا التى راحت تقرأ نبأ فى الجريدة وتقول (سوف يقيم مستر ومسز انكرتون حفلة في بيتهما (جرينواى هاوس) فى عطلة نهاية هذا الأسبوع ، ومن بين المدعوين الليدى سينثيا دريج ومسز ريتشارد سكوت وزوجته والميجور بورتر ومسز ستافرتون والكابتن الينسون ومستر ساترويت)

وبعد أن انتهت قالت لمسز ساترويت :

ـ هل تعرف أحدا من المدعوين إلى الحفل .. مستر ريتشارد سكوت مثلاً ؟

ـ بالتأكيد .. انه صياد الوحوش الشهير

ـ نعم .. وكما تقول الأغنية إنه (صياد الأسود والنمور) .. بل أنه هو نفسه أسد كبير الحجم ، ومن المؤكد أن الجميع سعداء بقبوله الدعوة لحضور الحفل ، وسوف تحضر معه زوجته الحسناء التى تصغره بخمسة وعشرين عاماً ، فهى تناهز العشرين بينما تخطى هو الخامسة والأربعين غمغم ساترويت قائلاً :

ـ ولكن لماذا تشفقين عليها ؟

واختلس نظره إلى وجه الليدى سينشيا التى تناهز الأربعين وتسرف فى وضع المساحيق على وجهها الصارم

قالت الليدى وهى تحدجه بنظرة عتاب :

ـ وكذلك الميجور بورتر صياد بارع للوحوش ، وهو رجل هادئ .. رزين .. قليل الكلام وهو أيضاً صديق حميم لريتشارد سكوت ، وأعتقد أنهما رحلا سوياً إلى أفريقيا للصيد .

ـ رحلا معاً ؟

- نعم .. ألم تسمع عن هذه الرحلة التى نظمتها مسز ستافرتون ؟

- بل سمعت عنها

- أعتقد أن الجمع بينها وبين ريتشارد سكوت في هذا الحفل هو عمل يخلو من اللباقة والكياسة ، فمن المؤكد أنك سمعت بعض الإشاعات عن العلاقة الغرامية بين مسز ستافرتون وبين سكوت .

انني أتعجب لماذا قبلت الدعوة ؟

- من الواضح أنها امرأة لاتعرف معنى التراجع ولاشك أنها تضمر الشر لريتشارد سكوت .. أعتقد أن زوجتة لاتعرف شيئاً عن هذه العلاقة ، ومن المؤكد أن بعض المدعوين سوف يخبرونها .

بعد قليل دخل الكابتن جيمى الينسون إلى الشرفة فدعاه مستر ساترويت للجلوس .. كان الكابتن يناهز الثلاثين من عمره يتميز بالوسامة واللطف .. قال :

- الجميع منشغلون في اللعب وقد خشيت أن تستحوذ على مسز انكرتون .

فضحكت الليدى سنيثيا بينما استطرد الكابتن جيمى الينسون قائلاً :

- وأخشى ما أخشاه أن نقص على مرة أخرى قصة الشبح ..

هتفت الليدى قائلة : قصة شبح أسرة انكرتون !

قال مستر ساترويت : بل قصة شبح آل جرنيواى الأصحاب السابقون لهذا المنزل ، فمنذ أن أشتراه انكرتون والشبح يوجد فيه .

- نعم .. لقد تذكرته .. إنه يظهر فى النافذة

كان مستر ساترويت ينظر من خلال الشرفة إلى ثلاثة أشخاص متجهين إلي المنزل .. فتاة رشيقة واثقة الخطوات تسير بين رجلين كلاهما طويل القامة ملوح البشرة .. أحدهما هو ريتشارد سكوت وكان يتميز بقوة الشخصية والجاذبية الشديدة والآخر هو زميله فى رحلة الصيد الميجور بورتر بوجهه الجامد وعينيه

الزرقاوين العميقتين ، أما المرأة فهى ميورا سكوت الزوجة الشابة لريتشارد ..

كانت ذهبية الشعر .. مشرقة الوجه .. عسلية العينين .

قال ساترويت لنفسه :

- انها رائعة حقاً ولايجب أن يصيبها أى شر !

استقبلت الليدى سينيثا القادمين مرحبة ثم قالت :

- أرجو أن تجلسوا وتستمعوا إلى مستر ساترويت وهو يقص عليكم قصة الشبح !

قال ريتشارد سكوت :

- شبح آل جرينواى ؟

- نعم .. هل سمعت عن قصته ؟

قال سكوت : نعم .. فقد قمت ببعض الزيارات لهذا المنزل قبل بيعه ، وكانوا يطلقون على الشبح اسم (الفارس الرقيب) .

- يالها من تسمية مشوقة .. هيا يامستر ساترويت حدثنا بالقصة .

لم تنجح محاولات ساترويت للهروب فقال أخيراً :

- تدور القصة حول فارس كان ينتمى لآل اليوت ولزوجته عشيق من أحد الأحزاب المعارضة ، وقد قتل هذا الزواج فى أحد غرف المنزل وفر العشيق مع الزوجة وخلال فرارهما رأيا وجه الزوج القتيل يراقبهما من النافذة ، وبعد ذلك كان كل من ينظر إلى زجاج النافذة عن بعد يرى وجه الفارس

قالت مسز سكوت : وأين توجد هذه النافذة ؟

- توجد فى الناحية الخلفية من المنز ل وقد تم تغطيتها بألواح خشبية

- ولماذ فعلوا ذلك رغم أن الشبح لايؤذى أحداً ؟

- حتى يضعوا حداً للخرافات والأساطير التى انتشرت فى كل مكان

واستطاع ساترويت أن يحول دفة الحديث إلى موضوع آخر وهو موضوع التنبؤ بالطالع .

فقال ريتشارد ضاحكاً :

ـ هل تصدق أن إحدى العرافات رفضت أن تتنبأ لزوجتى ميورا بالمستقبل وأعادت إليها نقودها ؟

فقالت ميورا : ربما خشيت أن تصارحنى بالحقيقة المخيفة التى رأتها !

قال الكابتن الينسون :

ـ ماهذا التشاؤم يامسز سكوت ؟ إن السعادة بانتظارك دائماً ..

قال مستر ساترويت لنفسه (إننى أرجو هذا .. ولكن ..)

فى هذه اللحظة لمح امرأتين مقبلتين نحوهما .. احداهما قصيرة بدنية سوداء الشعر ترتدى ثوباً من الحرير الأخضر والآخرى طويلة ممشوقة القوام ترتدى ثوباً من الحرير الأبيض .. الأولى هى المضيفة مسز انكرتون والثانية لم يكن ساترويت يعرفها .

قالت مسز انكرتون :

ـ أخيراً وصلت مسز ستافرتون وبذلك اكتمل عددنا .

تحدثت مسز ستافرتون بطريقة طبيعية تماماً إلي ريتشارد سكوت وقالت :

ـ هالو ريتشارد .. لقد انقضت فترة طويلة جداً منذ أن تقابلنا لاخر مرة ، ولم أتمكن من حضور حفل زواجك للأسف .. وأنت ياعزيزتى الصغيرة من المؤكد أنك تشعرين بالملل من الجلوس مع أصدقاء زوجك من الصيادين .

تحدثت ميور إليها برقة وخجل بينما كانت مسز ستافرتون تتفحصها بنظراتها ثم تحدثت الى الليدى سنيثيا ، وأدرك ساترويت أنها امرأة خطيرة للغاية لديها قدرة هائلة على إخفاء مشاعرها الحقيقة وإظهار الود والحب للجميع .. راح يتأمل شعرها الذهبى وعينيها الزرقاوين وصوتها الرنان وابتسامتها المشرقة .. اعتادت ايريس ستافرتون على أن تكون محط اهتمام الجميع ، وبعد قليل غادر ساترويت

الشرفة ليتمشى مع الميجوربورتر .

قال الميجور : إننى مازلت أتعجب من قصة الشبح التى ذكرتها لنا منذ قليل .

فأشار ساترويت إلى النافذة التى كان شبح الفارس يظهـر مـن ورائهـا ، وكانـت تطل على حديقة صغيرة يطلق عليها (الحديقة الخاصة) لإنها منعزلـة عـن العـالم وتتميز بزهورها البديعة وخضرتها الرائعة ، كانت النافذة في الطابق الأول وبدا واضحاً ألواح الزجاج التى تحجبها عن الأنظار .

قال ساترويت : ها هى النافذة .

تطلع الميجور إليها وراح يحملق فيها ثم قال :

ـ إننى لا أرى شيئاً .. ربما كان هناك لون باهت على ألواح الزجاج .

ـ عندما تراه عن بعد سوف يختلف الأمر تماماً ، هيا بنا نذهب إلى الغابـة القريبـة

ذهبا إلى طريق الغابة وقال ساترويت :

ـ منذ فترة قصيرة فتحوا نافذة فى الجانب الجنوبى من المنزل وأعتقـد أن ريتـشارد وسكوت سوف ينـزلان بهـذه الغرفـة الـشهيرة ولـذلك تعمـدت التوقـف عـن الحديث في موضع الشبح حتى لاتشعر مسز سكوت بالخوف وهى تنام فـى غرفـة يوجد بها شبح قتيل .

ولاحظ ساترويت أن الميجور بورتر شارد الذهن فسمعه ساترويت يقول :

ـ لقد أخطأت بالحضور إلى هذا البيت

كان من الواضح أن الجميع يتحدثون إلى ساترويت بدون حرج ، وظن الأخير أن الميجور يتحدث عن مسز ستافرتون فقال له :

ـ هل تعتقد هذا ؟

ـ لقد اشتركت معهم في الرحلة .. أنا وريتشارد وايريس ستافرتون .. إنها صـيادة بارعة وشخصيتها رائعة للغاية .. ولكن لماذا تمت دعوتها لحضور الحفل ؟

ـ ربما لاتعلم الليدى سنيثيا بالحقيقة ؟

ـ أخشى من حدوث بعض المتاعب .. لابد أن تكون على حذر حتى تنتهى الأمور بسلام

قالت ساترويت : ترى هل مسز ستافرتون .

ـ كلا .. إننى أتحدث عن مسز سكوت .. ترى ماذا تفعل إذا عرفت الحقيقة ؟

ـ لاأدرى .. كيف التقى بها سكوت ؟

ـ عندما كان يقضى أجازة بمصر في الشتاء الماضى ، أحبها سريعاً وتزوجها خلال ستة أسابيع .

ـ إنها جذابة للغاية .

ـ نعم .. ورائعة أيضاً .. وهو يحبها بجنون .. ولكن .. لماذا حضرت .. ان هذا خطأ كبير .

وعندما وصلا إلي المرتفع قال ساترويت :

ـ انظر ..

رأى الميجور على لوح الزجاج صورة فارس يطل من خلف الزجاج على رأسه قبعة عليها ريشة طائر فهتف قائلاً : إن هذا لشئ عجيب حقاً .. ألايمكن أن يتحطم الزجاج ماذا سيحدث ؟

قال ساترويت : ان هذا هو الجانب المثير من القصة ، فقد تم استبدال اللوح الزجاجى إحدى عشرة مرة ، وكانت المرة الأخيرة منذ حوالى اثنتى عشرة سنة ورغم ذلك كان وجه الفارس يظهر عليه تدريجياً .. تبدأ البقع في الظهور وتكتمل صورة الفارس بعد حوالى شهرين .

ارتعد جسد الميجور وهو يقول : ياله من أمر خارق .. ألا يوجد تعليل لذلك ؟ ولماذا يضعون الألواح خلف الزجاج ؟

ـ قيل ان الغرفة منحوسة حيث أقام بها ايفشام عندما طلق زوجته الأولى ، وعندما نزل ستانلى بها مع زوجته هرب بعدها مع فتاة سيئة السمعة .

قال بورتر : أى أن الذين يقيمون بها يتعرضون لفساد الأخلاق !

قال ساترويت لنفسه : (ترى ماذا سيحدث لريتشارد سكوت وزوجته ؟)

فى طريق العودة كان كل منهما مستغرقاً فى أفكاره حينما سمعا صوت ايريس ستافرتون تقول :

- سوف أجعلك تندم على هذا .

وسمعا صوت سكوت المضطرب الخافت ثم سمعا الصوت الحاد لايريس ستافرتون وهى تقول :

- إنك لاتدرك معنى الغيرة .. إنها جحيم لايعرفه إلا من اكتوى بناره .. فيجب أن تكون على حذر ..

كانت تخرج من الحديقة الخاصة وتتجه ناحية المنزل بسرعة وتتلفت حولها خائفة

راح ساترويت يسترجع فى ذهنه كل الكلمات التى نطقت بها إيريس ستافرتون وشعر بغريزته أن الخطر قادم قريباً وأن هناك مأساة سوف تقع بعد قليل .

وعندما أقبل المساء سخر ساترويت من نفسه عندما رأى الأمور تسير سيراً طبيعياً ، وخشى أن يكون مبالغاً في الخوف والتشاؤم .

كانت إيريس تتحدث بصورة طبيعة تماماً ولايبدو عليها التوتر العصبى ، وميورا سكوت رقيقة وجذابة لايبدو عليها أثر للخوف أو القلق وهى تتحدث إلى إيريس ، كما كان ريتشارد سكوت سعيداً مبتهجاً .

الوحيدة التى بدت الهموم على وجهها كانت هى مسز انكرتون ، وعندما انفردت بساترويت قالت :

- مستر ساترويت .. إننى أشعر بخوف شديد رغماً عنى ، وقد أرسلت استدعى صانع زجاج دون أن أخبر زوجى .

- صانع زجاج ؟

- نعم حتى يقوم بعمل لوح زجاجى جديد للنافذة .. إن زوجى يردد قصة الـشبح كثيراً ويفخر بها ولكننى لاأحب ذلك وأريـد اسـتبدال اللـوح الزجـاجى بـآخر جديد ونظيف .

- هل نسيت أن وجه الشبح يتكون بعد فترة ؟

- سوف أتحدى الشبح وأقوم بتغيير اللوح كل شهر أو كل أسبوع

قال ساترويت لنفسه (ترى هل يستطيع الشبح التغلب على هذا التحدى ؟)

وسمع ساترويت فى هذا المسه حديثاً آخر بالصدفة وهو صـاعد إلى غرفتـه حيـث رأى الميجور بورتر جالساً مع مسز ستافرتون فى البهو بالقرب من الـسلم وسمـع المرأة تقول :

- لقد كنت أعرف أن سكوت سوف يحضر مع زوجته لما حـضرت ، ولكننـى لـن أحاول الهروب بعد أن حضرت ..

قال ساترويت لنفسه : (ترى هل فوجئت حقاً بحضور سكوت أم كانت تعرف من قبل ؟)

وعندما استيقظ فى الصباح كان كل شئ على مايرام فأدرك أنه كان مبالغاً في التشاؤم .

عند الغروب اقترح ساترويت على الميجور بورتر أن يذهب إلي المرتفـع بالغابـة للتحقق من تغيير لوح الزجاج فى النافذة .

قال ساترويت :

- لقد كنا مبالغين فى التشاؤم بالأمس .. فالجميع يحـاولون الظهـور بمظهـر طيـب ويكتمون مشاعرهم قال بورتر : الناس المتحضرون فقط

- ماذا تعنى بذلك ؟

- فى بعض الأحيان يعود الإنسان للتصرف بطريقة هجمية

كانا قد بلغا المرتفع فى الغابة فنظرا إلى الزجاج ورأيا وجه الشبح واضحاً للغاية

قال ساترويت :

ـ من الواضح أن مسز انكرتون لم تجرؤ على أن تغير الزجاج

ـ من المؤكد أن زوجها عارض ذلـك بـشدة ، فهـو يفخـر بوجـود الـشبح ، وربمـا اشترى المنزل بسبب وجود هذا الشبح !

وبعد قليل قال بورتر : ان الحياة حافلة بالأخطار دائماً ..

قال ساترويت بدهشة : ولماذا ؟

ـ لأن المرء قد يفعل أشياء لايتوقعها أحد .

ـ ألا توضح وجهة نظرك قليلاً ياميجور .

ـ يبدو أنك تشك فى أقوالى .. هناك شعور غريزى ينتاب المرء أحياناً يجعله يشعر بقرب هبوب العاصفة واقتراب الأحداث الخطيرة ، وهذا ما أشعر به الآن و ..

ولكنه توقف عن الكلام عندما سمعا طلقتين ناريتين ثم صراخ امرأة .

هتف بورتر قائلاً : هيا بنا لنرى ماذا حدث .

انطلقا صوب المنزل ، وعندما وصلا إلى المم المؤدى إلى الحديقـة وجـدا ريتـشارد سكوت ومستر انكرتون مقبلين من الناحي الأخـرى فوقـف الجميـع في الحديقـة الخاصة يتبادلون النظرات ، ثم أشار انكرتون إلى الحديقة وقال :

ـ لقد صدر الصوت من هنا

تقدموا صوب المكان الـذى أشـار إليـه انكرتـون وكـان بـورتر يتقـدمهم وفجـأة تصلب جسده وأطلق صرخة خافته بينما أطلق سكوت صرخة عالية .

كان هناك شاب وشابة ملقيين على الأرض بجوار مقعد حجرى وقد وقفـت مـسز ستافرتون بجوار السياج تنظر بفزع إلى شئ بيدها .

صاح الميجور بورتر : إيريس .. ما هذا الذى بيدك ؟

قالت بذهول : مسدس !

ثم أردفت بعد لحظات : لقد تناولته من على الأرض .

كان كل من انكرتون وسكوت راكعين .. بجوار الجثتين فانضم إليهما سـاترويت وصرخ سكوت قائلاً : أسرعوا باستدعاء الطبيب .

ولكن ريتشارد سكوت تحقق من موتهما .

كانت الجثتان لميوراسكوت وجيمس الينسون !

بدا لمستر ساترويت مدى قوة أعصاب ريتـشارد سـكوت وثباتـه ، فقـد اسـتطاع أن يسيطر على نفسه بعد الصدمة الأولى وقال وهو يعيد زوجته إلي وضعها السابق :

ـ لقد أصابتها الرصاصة في ظهرها ونفذت إلى صدرهاثم فحص جيمى الينـسون وقال : أصيب فى صدره .

قال بورتر بلهجة حازمة : لايجب أن يلمس أحد أى شئ حتى يحضر البوليس .

لمح ساترويت نظرات الغضب فى عينى سكوت وهو يغمغم قائلاً (البـوليس) ..

ثم تقدم نحو مسز رستافرتون ، فاعترض بورتر طريقه ونظر إليه بحدة وقال :

ـ كلا ياريتشارد .. ربما لم تكن هى ..

قال ريتشارد : ولماذا تحمل المسدس بيدها ؟

قالت ايريس بحدة : لقد كان على الأرض فتناولته

وقال انكرتون : سوف أقوم باستدعاء البوليس حالاً ولكن يجب أن يبقى أحد هنا فأعلن ساترويت أنه سيبقى بجوار الجثة فقال انكرتون ..

ـ شكراً لك يامستر ساترويت .. والآن يجب أن يتم إبلاغ الأمر إلى النسله ، وهى مهمة شاقة للغاية خاصة بالنسبة لزوجتى .

راح ساترويت ينظر إلى الجثتين وهو يتحسر على المرأة الحسنله التى راحت وهى فى عمر الزهور .. كانت الابتسامة ماتزال علي وجهها ولاحظ وجـود بقعـة مـن الدم على شحمة أذنها واستيقظت لديه الرغبة فى الاسـتنتاج .. بعـد قليـل أدرك أن البقعة ناتجة عن القرط ، فقد لمح قرطاً صغيراً فى الأذن الأخرى .

قال المفتش ونكفليد للجميع وهو يجلس معهم في البهو :

ـ علمت أن الميجور بورتر ومستر ساترويت كانا عائدين من طريق الغابة عندما سمعا صرخة امرأة رفركضا نحو الممر المؤدى إلى الحديقة الخاصة .

قال بورتر : نعم .

ـ وهذا يعنى أنه لو حاول أحد الهروب من الحديقة لرأيتماه ،وكذلك فقد كان مستر انكرتون ومستر سكوت قادمين من الناحية الأخرى ، ولايوجد للحديقة منافذ غير هذين المنفذين

قال انكرتون : نعم

فاستطرد المفتش قائلاً : عندما كنتما في الغابة كانت مسز انكرتون وزوجها والليدى سينيثا جالسين فى الممر المؤدى إلى المنزل ، وكان مستر سكوت جالساً فى غرفة البلياردو التى تؤدى إلى الممر ، فى السادسة وعشر دقائق خرجت مسز ستافرتون من المنزل وتحدثت قليلاً مع الجالسين في الممر ثم اتجهت يساراً إلى الحديقة الخاصة وبعدها دقيقتين سمعت أصوات الطلقات النارية واندفع مستر سكوت ومستر انكرتون إلـي الحديقة من الجهة اليمنى ، ومستر ساترويت والميجور من الناحية اليسرى ، ورأيتم جميعاً مسز ستافرتون وهى واقفة تحمل المسدس بيدها اليمنى ، وهو نفس الذى انطلقت منه الرصاصتان .. أطلقت أولاً رصاصة على مسز سكوت فاخترقت ظهرها فاندفع الكابتن الينسون إليها فأطلقت عليه الرصاصة الثانية فاخترقت صدره ، وقيل أن علاقة عاطفية كانت تربط بين مسز ستافرتون ومستر سكوت .

قال بورتر بصوت أجش : ان هذا كذب

وقال ساترويت : وماذا قالت مسز ستافرتون ؟

ـ قالت انها ذهبت إلى الحديقة الخاصة وقبل أن تصلها سمعت صوت الطلقتين

وعندما وصلت وجدت المسدس علـى الأرض فتناولتـه ولم تـر أحـداً يـدخل أو يخرج من الحديقة ، وقد أصرت على هذه الأقوال

قال الميجور بورتر بحزم : من المؤكد أنها صادقة .. إننى أعرفها جيداً .

ـ يمكنها أن تثبت براءتها بعد ذلك أما الآن فنحن نجمع الحقائق .. مستر ساترويت .. ألا يمكنك القيام بعمل ما لإثبات براءة المرأة المتهمة ؟

شعر ساترويت بالخيلاء لأن بورتر لجأ إليه وطلب مساعدته وقبل أن ينطـق أقبـل رئيس الخدم تومبسون وقدم للمستر انكرتون بطاقة وقال إن صاحبها مـصر علـى مقابلته وان هناك موعداً سابقاً بينهما ، وعندما نظر

انكرتون إلى البطاقة هتف قائلاً :

ـ هارلى كوين .. نعم .. كان هناك موعد بشأن لوحة ولكن الوقت غير مناسب الآن .

هتف ساترويت : هارلي كوين ؟ إنه أفـضل مـن يقـوم إلينـا المـساعدة فـى هـذه الظروف العصيبة .. إنه رجل ذو قدرات فذة .

قال المفتش ساخراً : يبدو أنه من هواة كشف غموض الجرائم .

قال ساترويت : كلا .. إن رجل عجيب لديه قـدرات عظيمـة ، فهـو يجعلكـم تـرون الحقائق التى غابت عنكم رغم وضوحها ، فلنعرض عليه الأمر ونرى ماذا سيقول .

أومأ انكرتون إلى رئيس الخدم بالموافقة على اسـتدعاء الرجـل الـذى دخـل بعـد قليل وحيا الجميع ثم قال :

ـ آسف للحضور فى هذا الوقت ، وبالطبع لاتسمح الظروف بالحديث عن اللوحة .

عزيزى مستر ساترويت .. هل مازلت مهتماً بما يدور من أحداث على مسرح الحياة ؟

قال ساترويت وهو يبتسم : نعم .. ونحن الآن نناقش هذه الأحداث وأريد سماع رأيك .

ثم ذكر تفاصيل ما حدث وبعد أن انتهى ساترويت قال كوين :

ـ إنها مأساة مروعة شديدة الغموض ، ومايجعلها تزداد غموضاً أنه لايوجـد دافـع

واضح للقتل

قال انكرتون : من الذى قال إنه لايوجد دافع ؟ لقد سمعت مسز ستافرتون تهدد سكوت بالقتل ، ولم تخف غيرتها وحقدها على زوجته .

- انى أعنى الكابتن الينسون

فهتف بورتر قائلاً :

- أنت على حق يامستر كوين ، فلم ينتبه أحدنا إلى هذه الحقيقة ويسأل نفسه لماذا قتل الكابتن الينسون ؟

إذا كانت مسز ستافرتون تريد قتل غريمتها مسز سكوت فقد كان عليها أن تستدرجها بمفردها إلي مكان بعيد ، ومن الواضح أننا نسير في الطريق الخاطئ ، وقد ذهب الثلاثة إلى الحديقة قبل وقوع الجريمة .. مسز ستافرتون ومسز سكوت وجيمى الينسون ، وأعتقد أن الينسون هو الذى قام بإطلاق النار على مسز سكوت ثم قتل نفسه بعد ذلك فوقع منه المسدس الذى تناولته مسز ستافرتون

قال المفتش : كلا .. إن هذه النظرية ضعيفة ، فلاتوجد آثار احتراق على ملابس الينسون .

- ربما أطلق النار على نفسه من مسافة بعيدة بعد أن فقد صوابه

لم يقتنع أحد بنظرية بورتر الذى سأل كوين عن رأيه فقال ضاحكاً :

- انى لست ساحراً أيها السادة أو باحثا جنائيا ، ولكننى اهتم كثيراً بالدوافع النفسية والانفعالات ، وخلال الأحداث الخطيرة تنطبع في الذهن صورة من الصعب أن تمحى ، وأعتقد ان الوحيد الذى كان يراقب الأحداث هو مستر ساترويت بصورة محايدة .. فهل يمكنك أن تذكر لنا انطباعاتك يامستر ساترويت .. هل شعرت بالإثارة عندما سمعت الطلقات أم عندما رأيت الجثتين وبجوارهما مسز ستافرتون تحمل المسدس ؟

- كان أكثر ماعلق بذهنى صورة مسز سكوت بشعرها الذهبى وبقعة الدم على شحمة أذنها انتبه الجميع لما قال ساترويت وصاح انكرتون :

- نعم .. كانت هناك بقعة من الدم على أذنها

- ومن الواضح أن تم انتزاع القرط من أذنها عندما سقطت على الأرض

قال بورتر : كانت ترقد علي جنبها الأيسر فمن المؤكد أن الدم كان علي أذنها اليسرى .

قال ساترويت : بل كان على أذنها اليمنى

قال المفتش : لقد عثرت على المشبك الذهبى للقرط فى الأعشاب .

فصاح بورتر : من المؤكد أنه قد تم انتزاع القرط بعنف من أذنها حتى يتحطم هكذا .

وهتف ساترويت : معك حق .. ربما حطمته الرصاصة وجرحت أذنها أيضاً .

قال المفتش : كلا بالطبع .. فقد أطلقت عليها رصاصة واحدة اخترقت ظهرها ومن المستحيل ان ترتد لتجرح أذنها ، واذا كانت الطلقة الثانية هى التى جرحت الأذن فمن المستحيل أن تقتل الكابتن الينسون إلا إذا .

فأكمل كوين العبارة وقال : إلا اذا كانت بين ذراعيه !

تبادل الجميع النظرات .. فهى المرة الأولى التى تخطر ببالهم هذه الفكرة .

قال انكرتون : اننى أستبعد ذلك فلايكاد الينسون يعرف مسز سكوت .

وقال ساترويت لنفسه : لاأحد يعلم الحقيقة .. فربما كان يعرفها ويتظاهر بعكس ذلك ، ومازلت أذكر أن مسز سينثيا قالت إنه كان رقيقاً للغاية فى الرحلة إلى مصر خلال الشتاء الماضى .

وقال ساترويت لبورتر : علمت منك أن مستر سكوت تعرف بزوجته فى مصر فى الشتاء الماضى وربما تعرف الينسون بها فى ذلك الوقت أيضاً !

قال انكرتون : كان من الواضح أنهما لايعرفان بعضهما

ـ ربما تظاهرا بذلك لغرض ما !

قال كوين : شكراً لك على ملاحظتك الدقيقة يامستر ساترويت .. وأنت مارأيك يامستر انكرتون ؟

فقد لاحظت أنك كنت مستغرقاً في التفكير وبالتأكيد كنت تفكر في المأساة .

وبعد تردد قليل قال انكرتون :

ـ بل إننى كنت أفكر فى أمر خيالى لاعلاقة له بالحادث .. أخبرتنى زوجتى أنها قامت بتركيب لوح جديد من الزجاج لنافذة التى تظهر فيها صورة الشبح ، وأعتقد أن هذا ماجلب لنا النحس .

هتف ساترويت قائلاً : هل ذكرت أن زوجتك قامت بتغيير الزجاج ؟

فهتف بورتر : آه .. لقد بدأت أفهم .. إن جدران الغرفة مكسوة بالألواح الخشبية وليس بالورق الملون .

ـ وما علاقة ذلك بما تتحدث فيه ؟

اندفع بورتر خارج البهو ومن خلفه الجميع ، ثم صعد إلي غرفة الشبح والتى نزل بها سكوت وزوجته .. كانت غرفة جميلة جدرانها مكسوة بألواح من الخشب الأنيق .. راح بورتر يتحسس الألواح ويقول إنه واثق من وجود مفتاح لباب سرى ، وبعد قليل تحرك جزء من الخشب وكشف عن الألواح التى تقع خلف النافذة وبينها لوح جديد ، وعلى الأرض كانت هناك ريشة نعام التقطها بورتر ثم تبادل مع كوين نظرة خاصة ، اتجه بورتر بعد ذلك إلى خزانة الملابس فوجد بداخلها عدداً من قبعات مسز سكوت منها قبعة عريضة مزينة الحواف بالريش .

وقال مستر كوين أخيراً :

ـ دعنا نفترض أن هناك رجلاً شديد الغيرة أقام بهذا المنزل لفترة من الوقت منذ سنوات ، وأنه عرف سر هذا الباب السرى الذى يخفى نافذة الشبح خلفه ، وأنه

فتح الباب ونظر من النافذة فرأى زوجته جالسة في الحديقة الخاصة وكانـت بـين أحضان أحد الضيوف فاشتعلت نار غيرته وخطرت بباله فكرة جهنمية للانتقام . تذكر أسطورة الشبح فتناول قبع مزينة بالريش ووقـف فـى نفـس وضـع الـشبح حتى يظنه من يراه الشبح المزعوم ، وظل يراقب زوجتـه وصـديقها حتـى تعانقـا فقتلهما برصاصة واحدة نفـذت مـن ظهـر المـرأة إلى قلـب الرجـل ، ثـم أطلـق رصاصة أخرى هى التى جرحت أذن المرأة وحطمت قرطهـا ، ومـن الطبيعـى أن يصيب الهدف بدقة وهو الصياد البـارع ، وبعـد أن قتلـهما ألقـى بالمـسدس فـى الحديقة وأسرع إلى قاعة البلياردو ثم إلى الحديقة مع مستر انكرتون

قال بورتر بدهشة : ولماذا ترك مسز ستافرتون تتعرض للاتهام ؟

يمكننى معرفة الإجابة عن طريق الاستنتاج .. كان سكوت يحب ايريس سـتافرتون بجنون ، وبعد أن رآها هاجت عواطفه ، ولكن المرأة كانت قد أحبـت رجـلاً آخـر أكثر تعقلاً واتزاناً من سكوت .

ثم أشار إلى بورتر الذى قال : من تعنى ؟

ـ أعنيك أنت ياميجور بورتر .. فعليك أن تسرع إليها حالاً .

هرع بورتر إلى المرأة بينما اختفى مستر كوين .. الرجل الخفى كالعـادة ولم يعـرف أحد كيف جاء ولماذا اختفى ؟

* * * *

الفصل الثالث

راح القاضى يلخص القضية للمحلفين فقال :

- أمامكم كل الأدلة التى تثبت أن المتهم هو القاتل الحقيقى لفيفان بارنابى، فقد عرفنا من أقوال الخدم الوقت الذى أطلقت فيه الرصاصة وعرفتم أيضاً أن فيفيابارنابى أرسلت إلى المتهم خطاباً فى صباح نفس اليوم الذى قتلت فيه وهو الجمعة الثالث عشر من شهر سبتمبر ، ولم ينكر المتهم أنه تسلم الخطاب .

وقد أنكر المتهم أنه ذهب إلي منزل القتيلة في يوم الجريمة ، ولكنه عندما رأى الأدلة التى قدمها رجال البوليس اضطر للاعتراف بذهابه إلى هناك .

وكما ترون فلاتوجد لدينا أدلة ملموسة ويمكنكم إصدار حكمكم على أساس الدوافع للقتل والوسائل التى أتيحت للمتهم ، والظروف التى أغرته بارتكاب جريمته .

أما محامى المتهم فقد ذكر أن رجلا غريبا دخل إلى غرفة الموسيقى بعد أن غادرها المتهم ثم أطلق النار على فيفان بارنابى من نفس البندقية التى زعم المتهم أنه نسيها وزعم أيضاً أنه استغرق نصف ساعة فى العودة إلى منزله .

أيها السادة لقد أطلق المتهم النار على القتيلة عن مسافة قريبة لقتلها وعليكم إدانته ، أما إذا كانت لديكم بعض الشكوك فسوف أضطر لإطلاق سراحه .

وبعد نصف ساعة من المشاورات والمناقشات عاد المحلفون وأصدروا قرارهم وكان بإدانة المتهم .

كان مستر ساترويت من بين الذين حضروا المحاكمة وخرج وهو مقطب الجبين ..

كانت هذه القضية من النوع الذى يثير اهتمامه ، وقد أطلق عليها قضية (وايلد) ..

فالمتهم شاب مهذب يدعى مارتن وايلدو القتيلة هى زوجة السير جورج بارنـابى الحسناء .

دارت كل هذه الأفكار فى رأس مستر ساترويت وهو فى طريقه إلى أحد المطـاعم بحى سوهو يتردد عليه الأغنياء فقط .. كان المطعم هادئاً للغاية ويطلق عليه مطعـم (ارليكشينو) اتجه مستر ساترويت مباشرة إلى مائدته المعتادة ، ولكنه ما كاد يقترب منها حتى وجد رجلاً جالساً إليها فهم بالتراجع ولكن الرجل استدار إليه فجـأة فهتف ساترويت قائلاً :

ـ يا إلهى .. انه مستر كوين .. الرجل الخفى .

إنه نفس الرجل الغامض الذى يظهر فى الأوقات الصعبة ليكشف للجميـع مـا خفى عليهم .

تصافحا بحرارة ثم جلس ساترويت أمام كوين وقال :

ـ إننى الآن عائد للتو من محكمة أولدبيلى .. كانت قضية غامضة .

قال كوين على الفور :

ـ وللأسف أدانه المحلفون .

ـ لقد ظلوا يتشاورون نصف ساعة قبل أن يصدروا هذا القرار .

ـ من المؤكد أنهم استندوا إلى الأدلة التى قدمت إليهم ؟

قال ساترويت .. نعم .. ولكن ..

قال كوين ضاحكاً : من الواضح آنـك غـير مقتنـع بـالحكم وآنـك تؤيـد بـراءة المتهم آليس كذلك ؟

نعم " فهو شاب مهذب تبدو البراءة علي وجهه ولا يمكن آن يتخيـل آحـد آن يكون هو القاتل من الواضح آنهم يقولون آنه قتل عشيقته حتي يمكنـه الـزواج من خطيبته

تعم .. ولكننى غير مقتنع بالأدلة .

- من سوء الحظ أنني لم أحضرا لمحاكمة ولا أعرف الكثير من المعلومات عن حيـاة القتيلة أو المتهم ويبدو أنك تعرف هذه المعلومات .. فهل يمكنك أن تخبرنى بها ؟

شعر ساترويت بالزهو وهو يدلى بمعلوماتـه إلى هـذا الرجـل الخفـى الغـامض ، الذى يتميز بعبقرية فـذة في الكـشف عـن غمـوض الجـرائم ، راح يـسرد عليـه معلوماته عن فيفان بارنى وعن علاقتها بمارتن وايلد ، وكـذلك عـن سـيلفياديل خطيبة مارتن والتى تقيم بقرية ديرنج هبل ، وقال إن السير جورج بارنابى يقـيم فى قصره المعروف باسم (ديرنج هيل) ، وهو يناهز الخمسين وهو واسـع الثـراء ولكنه بخيل يتباهى بثروته ويهتم بالتفاهات اهتماماً كبيراً ، فهو على سبيل المثـال اعتاد أن يدفع أجور العمال يوم الثلاثاء من كـل أسـبوع ، ويقـوم بمـلء سـاعات القصر بنفسه ويضبطها يوم الجمعة ويغلق الباب الخارجى للقصر كل ليلة .

ثم تحدث بعد ذلك عن الليدى بارنابى القتيلـة ، وقـال إنـه لم يـشاهدها إلا مـرة واحدة وإنها تركت فى نفسه انطباعاً بالحزن رغم جمالها الساحر ، كما شعر بأنهـا ساخطة على الحياة وعلى حظها .

- ترى هل كانت تمقت زوجها ؟

قال ساترويت على الفور : نعم .. كانت تضمر له كرهـاً شـديداً ، وقـد تزوجتـه دون أن تعرف مدى بخله ودناءته ، وقـد نـدمت بعـد ذلـك أشـد النـدم ولم يكـن باستطاعتها أن تفعل شيئاً ، فهى فقيرة لايوجد مـورد لهـا إلا مـن خـلال زوجهـا وهـو حريص بطبعه يعطيها المال بحساب وكانت هى شديدة الطمع والتطلع لملذات الحياة .

أما عن مارتن وايلد فلم أره قبل المحاكمة ولكننى سمعت عنه الكثير ، وكان يمتلك مزرعة تبعد حوالى ميل عن قصر (ديرنج هيل) ، وعنـدما التقـت فيفيـان بـاربى بمارتن تعلقت به وظنت أنه طريقها للخلاص من عذابها مع زوجها ، وبعد فـترة

فترت حرارة حبه لها بينما ظلت هى على حبها !

وكانت تتخلص من خطاباته بينما احتفظ هو بالخطابات التى كانت ترسلها إليه ، وقد اعترف بأنه أحب ابنة طبيب فى قرية مجاورة وخطبها .. إنها فتاة هادئة شقراء يبدو أنها شديدة الإخلاص له ، وقد نشرت الصحف رسالتها الأخيرة إليه .. لقد كتبتها صباح الجمعة الثالث عشر من سبتمبر .. كانت تهدده وتعتب عليه ، وفى النهاية طلبت منه الحضور فى تمام السادسة مسله وقالت إنها سوف تترك له الباب الجانبى مفتوحاً حتى يدخل منه دون أن يشعر أحد وإنها سوف تنتظره فى غرفة الموسيقى ، وقد أرسلت إليه الخطاب بواسطة أحد الخدم ، وقد أنكر مارتن وايلد أنه قام بزيارتها فى الموعد الذى حددته فيفيان باربى ، ولكنه اعترف أمام الأدلة التى قدمها رجال البوليس وادعى أنه حمل بندقيتة وذهب للصيد فى الغابات ، وقد تم العثور على بصمات أصابعه على الباب الجانبى وعلى أحد الكؤوس بغرفة الموسيقى ، ولذلك اضطر للاعتراف وقال إنهما تبادلا الاتهامات بالخيانة والغدر وإنه استطاع أن يهدئ من روعها قبل أن ينصرف وذكر أنه نسى البندقية بجوار الجدار وأقسم أنه تركها على قيد الحياة ، وقال إنه غادر منزلها بعد السادسة والربع بدقيقة أو اثنتين وإنه عاد إلى بيته فوراً ، ولكن الأدلة أثبتت أنه عاد إلى منزله فى السابعة إلا الربع ، أى أنه قضى نصف ساعة فى قطع مسافة أقل من ميل ، ولم يصدق أحد أنه نسى البندقية .

ـ وهل تصدقه أنت ؟

قال ساترويت : لايوجد مايمنع أن يترك بندقيته خاصة وأنه كان مضطرباً عقب اللقاء العاصف مع فيفيان .. إن كل هذا لايعد شيئاً بجوار الحقائق التالية .. فقد سمع الخدم صوت الطلقات فى السادسة والثلث .. سمع ذلك الطاهية ورئيس الخدم ومساعدة الطاهية والوصيفة الخاصة للقتيلة فهرعوا إلى غرفة الموسيقى

فوجدوها جثة هامدة فوق مقعدها ، وتبين أن القاتل أطلق الرصاص من خلف رأسها فاخترقت الجمجمة ، وكانت شهادات جميع الخدم متطابقة ، وقد هاجرت خادمة المنزل إلى كندا بعد الإدلاء بشهادتها .

- أه .. فهمت .

نظر ساترويت إلى كوين قال بدهشة : هل هناك مانع فى سفرها ؟

قال كوين : ولماذا سافرت ؟

- لم يعرف الخدم ماذا يفعلون وعندما حاولوا الاتصال بالبوليس وجدوا التليفون معطلاً :

- هذه ملحوظة هامة ..

- نعم ، فلا أحد يدرى لماذا قام القاتل بتعطيل التليفون لأن المرأة ماتت على الفور ولم يكن هناك أمل فى انقاذها .

هز هارلى كوين رأسه دون أن يعقب فقال ساترويت :

- كان الجميع بلا استثناء مقتنعون بأن القاتل هو مارتن وايلد ، فقد اعترف بأنه غادر القصر بعد السادسة والربع بدقيقة أو اثنتين بينما سمع الخدم صوت الطلقات فى السادسة والثلث أى أنه كان قريباً من المنزل في هذا الوقت وبإمكانه ارتكاب الجريمة ، أما جورج بارنابى زوج القتيلة فقد كان يلعب البريدج فى ذلك الوقت بمنزل صديق له يقيم بالقرب منه ، وقد غادر منزل صديقه فى السادسة والنصف وعاد إلى منزله ، وأمام باب القصر التقى بأحد الخدم الذى أخبره بنبأ مقتل زوجته ، وكان هنرى تومبسون سكرتير السير جورج برنابى في لندن فى ذلك الوقت للمشاركة فى اجتماع هام ، أما سيلفياديل خطيبته فقد ثبت أنها كانت في نفس الوقت تودع صديقة لها على محطة ديرنج فيل ، وقد استقلت هذه الصديقة القطار المتجه إلى لندن والذى يغادر المحطة فى السادسة

وثمان وعشرين دقيقة .

وأخيراً يتبقى أمامنا الخدم ، فما الدافع لديهم لارتكاب الجريمة .. وهكـذا لايبقـى أمامنا متهم سوى مارتن وايلد .

نطق ساترويت الجملة الأخيرة بصوت يدل على عدم الاقتنـاع ، وبعـد فـترة مـن الصمت قال ساترويت .

ـ اننى أخشى من ظهور براءة الشاب بعد أن ينفذ فيه حكم الإعدام .

لم يعقب كوين فقال ساترويت :

ـ هل يمكنك أن تعرف سر رحيل الخادمة إلي كندا ؟

ـ نعم ولكن أريد أن أعرف إلى أين ذهبت بالتحديد .

ـ يمكننا معرفة هذا بسهولة بالرجوع إلى رئيس الخدم أو سكرتير جورج بارنـابى .. ولكن .. لماذا أفعل كل هذا ؟

قال كوين : لأن هناك شابا بريئا سوف يعدم بعد ثلاثة أسابيع .

ـ هل تعنى أننى مادمت أرتاب في أنه القاتل فيجب أن أبحث عن الخادمة في كندا ؟

قال كوين : ولماذا لاتذهب فلا توجد لديك مسئوليات أسرية ، كما أن كندا رائعة للغاية وسوف تستمتع بالرحلة وكفاك قياماً بدور المتفـرج ، ولاتنـسى أن الهـدف الذى تسعى إليه هدف نبيل .

وبعد قليل قال ساترويت :

ـ حسناً ياسيدى .. أرجو أن تتردد كثيراً على هذا المطعم حتى يمكن أن نلتقى .

* * * *

ذهب ساترويت بعد ذلك للاستفسار عن رحلات الشركات الـسياحية إلى كنـدا ثم اتصل بقصر السير جورج برنابى وطلـب مـن رئـيس الخـدم معلومـات عـن

الخادمة لويزا بولارد التى رحلت إلي كندا ، فذكر الرجل أنه لايعلم عنها شيئاً لأنها رحلت منذ ثلاثة أشهر ، وانه يظن انها تقيم فى منطقة تدعى (بانف) ، وان الخادمة لم ترسل إليهم بأية رسالة ولم تذكر عنوانها بالكامل .
وقرر ساترويت أن يقبل التحدى ويذهب إلى منطقة بانف هذه ويبحث عن الخادمة بكافة السبل .

* * * *

وكم كانت دهشته حينما وجد الرحلة الى كندا ممتعة ولم يجد أى صعوبة فى الوصول إلى الخادمة حيث تقيم فى منطقة بانف .
كانت لويزا بولارد تناهز الخامسة والثلاثين من عمرها .. طويلة القامة متينة البنيان تبدو فى عينيها علامات البراءة والغباء أيضاً ، وعندما ذكر لها أنه يقوم بجمع المعلومات عن مآساة ديرنج هيل .. صدقته بسهولة وقالت :
ـ طالعت فى الصحف أن الحكم قد صدر بإدانة الشاب المسكين .. إننى أشعر بالحزن لذلك ، إنه بالطبع معرض للوقوع فى الخطأ مثله مثل أى إنسان ، ولكن مسز برنابى هى المسئولة فى النهاية عن كل ماحدث ، وهى التى دفعته لارتكاب الجريمة بعد أن ظلت تلاحقه بلا هوادة ، وهكذا فقد لقى كل منهم الجزاء الذى يستحق فهى عدالة السمه ، وفي تلك الليلة كنت أشعر بأن شيئاً هاماً سوف يحدث .
ـ كيف عرفت ذلك ؟
ـ كنت أنظر من النافذة أثناء مرور القطار فرأيته يطلق سحابة فى السمه ظلت تتشكل حتى أصبحت تبدو كيد ذات مخالب حادة .. فتخيلت أنها يد القدر التى تريد البطش بشئ ، وشعرت بالخوف وتوقعت أن يحدث شئ خطير ، وبعدها سمعت الطلقات النارية ، فأسرعت مع زملائى إلي غرفة الموسيقى ووجدنا لليدى

برنابى مقتولة والدمه حولها .. وأخبرت زوجها وظلت الخادمة تتحـدث بـلا انقطـاع وتطرقت إلى موضوعات أخرى .. أدرك ساترويت أنها ذكرت كل مالديها .

لم يلفت نظره شئ إلا المرتب الضخم الذى تحصل عليه من عملها في كندا وهـو الذى أغراها بترك عملها في انجلترا والهجرة إلي كندا بسرعة ، وقالـت أن الـذى سهل لها الإجراءات هو مدير مكتب للتشغيل يدعى مستر ونمان ويقيم في كنـدا ، وحذرها الرجل من الكتابة إلى أى شخص بانجلترا حتى لاتتعرض لمشكلات مـع إدارة الهجرة ، واقتنعت المرأة وأذعنت .

بعد ذلك ذهب ساترويت إلى مستر ونمان وظل يتحـدث معـه وذكـر الرجـل أنـه ذهب إلى انجلترا منذ فترة وأن مستر تومبسون سكرتير السير جورج برنـابى قـدم إليه بعض الخدمات ، ومنذ ثلاثة أشهر كتب إليه جورج يطلب منه أن يجد عمـلاً لخادمة لديه وان السير جورج سوف يدفع لها جزءاً من المرتب حتى يكـون كـبيراً ومغرياً لها بالرحيل والبقله فى كندا وقال الرجل :

ـ من الواضح أن الرجل أراد ان يتستر على الفـضيحة التـى نـشأت مـن علاقـة السير جورج بالخادمة وأفضل حل هو ترحيل الخادمة .

كان ساترويت يعلم أن الأمر أخطر من ذلك .. ترى ماهو السبب ؟

عاد ساترويت إلى انجلترا بعد أن حصل على كل مايريـد وبقـى عليـه أن يعـرف أسرار ما يحدث بإعمال عقله فقط .

وذات ليلة ذهب إلي مطعم ارليكشينو وقد بدأ يشعر بالاحباط بعد أن عجز عن التوصل إلي الحقائق .. لم يكن يتوقع أن ينجح في مقابلـة الرجـل الخفـى هـارلى كوين من المرة الأولى ، ولذلك رقص قلبه طربـاً عنـدما وجـده جالـساً إلى نفـس المائدة فى ركن القاعة .. تبادلا التحية ثم قال ساترويت بأسى :

ـ للأسف الشديد كانت رحلة فاشلة

وراح يحدثه بكل ماسمعه من لويزا وماذكره مستر وثمان مدير مكتب التشغيل وعندما انتهى قال كوين :

ـ ألا تعد المعلومات التى حصلت عليها من لويزا كافية ؟ هل أنت واثق من ذلك ؟ حسناً .. دعنا من هذا .. إنك لم تصف لى قصر ديرنج هيل من الخارج .

قال ساترويت : إنه قصر صغير يبدو على هيئة القصور الريفية يقوم وسط حديقة كبيرة مساحتها حوالى فدانين ويبعد عن لندن بحوالى عشرين ميلاً .

ـ هل مواعيد القطارات منتظمة في المنطقة ؟

ـ نعم

ـ والقطار الذاهب إلي لندن من قرية سيلفياديل .. هل يمر بقصر جورج برنانى ؟

ـ نعم .. ولكنها كانت تودع صديقة لها على المحطة استقلت قطار السادسة وثمان وعشرين دقيقة .

ـ رائع .. ألا تجد علاقة بين كل ذلك وبين ترحيل لويزا بولارد من لندن بسرعة ؟ يبدو أن الذى أمر بترحيلها كان يخشى أن تقول أمام المحكمة ما قالته لك !!

ـ ماذا قالت ؟

ـ العلامة التى رأتها في السمء !

ـ مستر كوين .. هل تؤمن بهذه الخرافات ؟

ـ ربما رأت حقاً يد العدالة

ـ كلا يامستر كوين .. لقد صرحت بأنها رأت سحابة من دخان القطار ولاشك أنه قطار السادسة وثمان وعشرين دقيقة .. ولكن .. كلا .. ففى نفس اللحظة سمعت صوت الطلقات النارية وكانت في السادسة والثلث وليس السادسة والنصف .

ـ وكيف تفسر ذلك ؟

ـ ربما كان هناك قطار آخر .

ـ وما الذى دفع جورج وسكرتيره لترحيل لويزا بسرعة ؟

أخذ ساترويت يحملق فى وجه كوين دون أن ينطق ، وبعد قليل قال :

ـ إن الأمر محير للغاية .. فإذا كانت الرصاصات قد أطلقت فى الـسادسة والثلـث كما ذكر الخدم فكيف تقول لويز إنهـا سمعتهـا بعـد مـرور القطـار فـى الـسادسة والنصف ؟

ـ السبب واضح ياعزيزى .. فلابد أن أحدهم قد عبث فى الساعات !

ـ عبث بجميع الساعات ؟

ـ قلت لى إن السير جورج كان يقوم بملء جميع ساعات القصر فى مساء الجمعة .

هتف ساترويت قائلاً :

ـ لقد فهمت كل شئ .. قام السير جـورج برنـابى بتـأخير جميـع الـساعات عـشر دقائق ثم ذهب ليلعـب البريـدج ، ومـن المؤكـد أنـه طـالع رسـالة زوجتـه التـى أرسلتها إلى مارتن وايلد وبناء عليهـا أعـد خطتـه بإحكـام ، وهكـذا غـادر بيـت صديقه فى السادسة والنصف بينما كانت سـاعات القـصر تـشير إلـي الـسادسة والثلث ، فدخل من الباب الجانبى الذي تركته فيفان مفتوحاً ووجد البندقية التى تركها المسكين مارتن فقتل بها زوجته ثم أسرع إلى الغابة وألقى بالبندقية ثم عاد إلى القصر فأخبره الخدم بنبأ الجريمة ، وعطل التليفون حتى لايبـادر الخـدم بـإبلاغ البوليس ويعرفون الوقت الحقيقى لارتكـاب الجريمـة ، وهـذا يـدل علـى صـدق مارتن الذى وصل إلى منزله في السابعة إلا الربع لأنه غادر القصر فـى الـسادسة والنصف وليس السادسة والربع كما أشارت الساعات التى عبث بها جورج برنابى .

وهكذا فقد كانت لويزا هى الخطـر الوحيـد علـى جـورج برنـابى بحـديثها عـن العلامة التى شاهدتها في السمله ، فمن خلالها يمكن أن نعرف الحقيقة وينكـشف

كل شئ .

قال كوين : رائع يامستر ساترويت .. لقد أدركت كل الحقائق .

ـ ماذا نفعل الآن ؟

ـ نعرض الأمر على سيلفياديل خطيبة مارتن .

ـ وماذا يمكنها أن تفعل

ـ يمكنها أن تستعين بوالدها وأقاربها .

* * * *

ذهب ساترويت إلى سيلفيا وأخبرها بكل الحقائق وظلت تنصت إليه دون أن تقاطعه وبعد أن انتهى وثبت من مقعدها وقالت :

ـ سوف أذهب إلى جورج برنابى الآن

ـ كلا يامس ديل .. إن هذا التصرف خاطئ تماماً .

ولكنها انطلقت فاضطر لمصاحبتها فى سيارة الأجرة التى استوقفتها ، وبعد قليل توقف السائق أمام مكتب جورج برنابى ثم أسرعت إليه وتركت ساترويت ينتظرها ..

عادت بعد نصف ساعة وهى مرهقة مشعثة الشعر وقالت :

ـ انتصرت عليه .

هتف قائلاً : ماذا فعلت ؟

ـ أخبرته بأن لويزا بولارد أخبرت رجال البوليس بقصتها وأنهم قاموا ببحث الأمر وكشفوا أمره ، فانهارت أعصابه فقلت له إنه مايزال لديه متسع من الوقت للهرب وإننى سوف اسمح له بالهرب إذا حصلت منه على اعتراف مكتوب بقتل فيفيان بارنابى ، وإذا رفض فسوف أصرح وأفضح أمره وأمنعه من الهرب ، فكتب الاعتراف ووقعه ثم قدمت الاعتراف لساترويت وقالت :

ـ هيا .. عليك باستخدامه لإطلاق سراح مارتن .

ثم اصطحبها إلى مطعم آرليكشينو للغذاء وكان يأمل أن يجد مستر كوين ولكنه لم يجده فقال :

ـ من المؤكد أننى سوف أعثر عليه يوماً .

* * * *

الفصل الرابع

اعتاد مستر ساترويت على قضاء بضعة أسابيع في جزيرة كابرى يستمتع فيها بالطبيعة الرائعة والشواطئ الجميلة .

كان كل يوم يسير فى طريق هادئ تحف به المنازل البيضاء الصغيرة والنخيل ثم ينتهى الى ربوة يطل عليها قصر أنيق يتميز بأزهاره العطرة .. كان ساترويت يقوم بهذه الجولة وقت الغروب .

كان يقف بباب القصر البستانى الأسبانى العجوز مانويل الذى يقدم الزهور لكل عابر سبيل .. يقدم للرجال زهوراً أنيقة وللنساء باقات جميلة وكان الجميع ينفحونه بعض المال حسب ماتجود به أنفسهم .

بدأ ساترويت يهتم بأمر هذا القصر الذى لم ير فيه نافذة أو باباً مفتوحاً خلال الفترة التى قضاها في كابرى ، وراح يتخيل حالة سكانه .. تخيل أن تقيم فيه مغنية أوبرا معتزلة أو راقصة بالية مشهور أو ممثلة كانت ملء الأسماع والأبصار فضلت الابتعاد عن الأضواء والإقامة فى هذا القصر المعزول عن العالم .

راح يتطلع فى هذا اليوم إلى نوافذ القصر ولايدرى هل هو خال أم يوجد به بعض السكان .. وأخيراً جلس على المرتفع الصخرى الذى يطل على البحر الثائر .

وفي هذه اللحظة تذكر فجأة ذلك السباح الانجليزى الذى كان يصارع الأمواج المتلاطمة ولكنه فشل فى الصراع ومات غرقاً .وتتابعت أفكاره وتوقف عند فكرة الموت .

وأنتبه على صوت خطوات تسير خلفه وصوت رجل يقول : (اللعنة)

التفت وراءه فرأى رجلاً فى نحو الأربعين من عمره يتطلع إليه بدهشة .. كان قدر

رآه فى الفندق الذى ينزل به ولفت نظره بتصرفاته ، كان رجلا انجليزيا ويبدو أنه أصغر من سنه فقال ساترويت لنفسه :

(ان هذا الرجل سوف يظل يتمتع ببراءة الطفولة طيلة حياته)

كان الرجل طويل القامة ممتلئ الجسد يبدو عليه أنه يستمتع بملذات الحياة ، ولكن من يدقق النظر في عينيه يرى الحزن عميقا فيهما وربما الشعور بالقلق والتساؤل .

قال الرجل بلهجة الاعتذار :

ـ معذرة ياسيدى .. فلم أتوقع أن أجد أحداً فى هذا المكان فهو خال عادة .

أفسح ساترويت للرجل مكاناً إلى جواره ثم قال :

ـ نعم .. فهو مكان منعزل

ـ ولكننى كلما جئت إليه وجدت فيه شخصا ما .

شعر ساترويت أنه يتحدث بنبرات تعبر عن الاستياء والضيق فقال :

ـ هل جئت إلى هذا المكان من قبل ؟

ـ نعم .. جئت مساء أمس بعد أن تناولت طعام العشاء .

ـ كنت أعتقد أن بوابة الحديقة تغلق فى العاشرة ؟

ـ لقد كانت مغلقة ولكننى تسلقت الأسوار

ـ وهل وجدت أحداً يجلس هنا فى ذلك الوقت ؟

ـ نعم .. شخص مايرتدى ثوباً تنكرياً .

ـ ترى من هو ؟

ـ شخص يرتدى ثوباً تنكرياً خاصا بالمهرجين يطلق عليه (هارلى كوين)

ظهرت الدهشة على وجه ساترويت فقال الرجل :

ـ عدد كبير من نزلاء الفندق يرتدون هذه الثياب ، وقد دهشت للظهـور المفـاجئ والاختفاء المفاجئ لهذا الرجل العجيب .. لقد بدا كالشبح وتخليت أنـه جـاء مـن

البحر ! إن هذه أوهام بالتأكيد ، فمن المستحيل أن يأتى أحد عبر البحر ولايمكن ان يقف على هذه الصخرة حتي لايلقى حتفه .. إنه مكان نموذجى لارتكاب جريمة قتل !

وبعد قليل قال الرجل :

ـ ما فائدة كل هذا ؟ لماذا نحيا ؟ ولماذا نموت ؟

لم يعقب ساترويت فقال الرجل كما لو كان يتحدث إلى نفسه :

ـ يقولون إن على كل رجل أن يفعل عدة أشيله .. يبنى بيتاً ويزرع شجرة وينجب ابناً وأعتقد اننى وضعت بذرة الابن .

شعرت ساترويت بالفضول لمعرفة المزيد عن هذا الشاب الغامض فترك له الفرصة ليتحدث عن نفسه كما يشله فانطلق الشاب فى حديث طويل .. ذكر ان اسمه انتونى كوذدين وأنه ورث ثروة كبيرة عن أبويه فأنفق الكثير على ملذاته وتعرف على عدد كبير من الأصدقله وأخيراً جلءت النهاية .. شعر بآلام بسيطة أولاً ثم ازدادت حدة ، فذهب لاستشارة أحد كبار الأطبله بشارع هارلى وبعد أن فحصه بدقة نصحه بالتزام الهدوء والابتعاد تماماً عن الإجهاد لأنه سوف يموت خلال ستة أشهر على أكثر تقدير ، ثم نظر إليه الشاب وقال : مارأيك في ذلك يامستر ساترويت ؟

عجز ساترويت عن الإجابة فقال انتونى :

ـ لقد حاولت أن أتجاهل نصائح الأطبله وأن أمضى حياتى فى مرح وسرور ولكن الأصدقله انصرفوا عنى بعد أن شعروا بتغير أحوالى ، وهم على حق فإننى أعيش كإنسان ميت .

وفى النهاية قررت اللجوء إلى هذه الجزيرة

ـ ولماذا قررت المجئ إلى هذه الجزيرة ؟ هل سبقت لك زيارتها من قبل ؟

ـ نعم .. منذ حوالى عشرين عاماً ، وعندما تذكرت أن الموت أمر يسير من فوق

هذه الصخرة .

فقاطعه ساترويت قائلاً : هل جئت ليلة أمس من أجل هذا ؟

قال انتونى كوزدين باستيله :

- إن هذا الأمر خاص بى ولادخل لك بما أفكر فيه

- ولكنك وجدت بالأمس رجلاً يجلس هنا واليوم وجدتنى أنا وبذلك كتبت لك النجاة مرتين .

- انها حياتى أنا ويمكننى أن أفعل ما أشاء بنفسى

- لايجب أن يدع كل إنسان العنان لأحزانه حتى تورده موارد الهلكة .

- انني أقدر نصائحك الغالية يامستر ساترويت ، فأنت تـؤدى واجبـك بـالطبع ، ولكن من الأفضل أن أنهى حياتى نهاية سريعة بدلاً من انتظار الموت وياله مـن انتظار رهيب .. ولن أندم على شئ .

قالت ساترويت :

- ألا يوجد من يهمه أمرك فى هذه الحياة ؟

- لاأدرى .. يجب أن أنهى حياتى

- ألا توجد امرأة تحبك ؟

- عرفت الكثيرات ولم أحب سوى ..

وبعد صمت قصير قال : وتمنيت أن يكون لى ابن .. ولكـن .. لافائـدة .. حتـى إذا تحققت أمنيتى فلن تكفى الفترة الباقية لرؤية هذا الابن .. إنها خمسة أشهر وسـتة أيام بالتحديد

قال ساترويت : إننا غير واثقين من صحة قـول الأطبـاء . وإن صـح فقـد تقـضى أجمل أيام حياتك خلال الفترة الباقية .

قال انتونى ساخراً : هل يمكنك قضاء هذه الفترة سعيداً لو كنت فى موضعى ؟

ـ في الحقيقة لابد أن يمتلك المرء قدراً كبيراً من الشجاعة ليواجه هذا الموقف الصعب ولكننى لست شجاعاً وإن كنت أريد أن أعرف مايخبئه الغد وهذا حافز هام للعيش ..

أطلق انتونى ضحكة جوفاء وقال :

ـ شكراً لك ياسيدى .. لست أعرف لماذا تحدثت إليك ، ولكن اذا سمعت أن حادثاً وقع لى فلاتذكر لأحد ما قلت لك .. ولكن .. كلا .. يمكنك ان تقول ما تشاء فلن يضيرنى ماسيحدث عقب موتى .. وسف أضطر لتأجيل الانتحار حتى لايقال أنك أنت الذى دفعتنى إلى الهاوية . كما أنه لايوجد مايدعو للعجلة .. سوف ألتقى بك بعد العشاء في الفندق .

وبعد أن ذهب انتونى كوذدين قال ساترويت لنفسه :

ـ والآن ماذا سيحدث ؟

غادر المكان متجهاً نحو الربوة واخترق حديقة القصر في طريقة إلي الفندق ، ولكنه توقف فجأة أمام القصر وراح ينظر إلى نوافذه ويتخيل وجود فنانة معتزلة بين جدرانه .. شعر بفضول جارف لمعرفة مابداخل القصر فتسلق كومة من الأحجار ونظر من خلال إحدى النوافذ .. جذب المصراع ودهش عندما وجده ينفتح بسهولة وانتقض جسده بعنف عندما وجد أمامه امرأة ترتدى ثياباً سوداء تنظر إليه بوجه جامد .

راح يعتذر بمختلف اللغات وهو يشعر بالخجل الشديد من تصرفه السئ ثم تراجع ، ولكن المرأة صاحت بلهجة آمرة : تعال إلى هنا .

اضطر ساترويت للعودة فوقف أمام النافذة فقالت له المرأة :

ـ من الواضح انك انجليزى

ـ نعم .. ولو كنت أعرف أنك انجليزية لاعتذرت إليك بلغتك .. إننى شديد

الأسف وقد دفعنى الفضول الشديد لذلك .. كنت أتساءل عما بداخل القصر ؟

أطلقت المرأة ضحكة عذبة وقالت :

ـ الأمر لايستحق كل هذا العناء .. يمكنك الدخول من الباب لترى كل شئ بنفسك ..

دخل ساترويت فوجد نفسه في غرفة رائعة فاخرة الأثاث ولكن الغبار يغطى كل شئ .

قالت المرأة : إننا لانستعمل هذه الغرفة

ثم مضت به إلى غرفة فى الجانب الخلفى من القصر تطـل علـى البحـر وكانـت تضم أثاثاً فاخراً ولكنها نظيفة .

دعته للجلوس وقالت : أرجو أن تقبل دعوتى لتناول الشاى .. إن الخادمة تـصنعه بطريقة جيدة .

أصدرت المرأة تعلمياتها باللغة الأسبانية ثم جلست أمامه

راح يتأملها بإمعان .. كانت رائعة الجمال فاتنة الجسد تفيض بالحيوية والنـضارة ، وتتميز بقوة الشخصية .. طويلة القامة خمرية اللون تناهز الأربعين لايمل المرء مـن التطلع إليها وشعر بأن جاذبيتها لاتقاوم .

ورغم ذلك بدأ يشعر بشئ من الخوف والقلق .. فهو لايميل إلى المرأة المسيطرة .

كانت هى أيضاً تتأمله وقالت :

ـ اننى أشعر بالسعادة لحضورك ، فقد كنـت أرغـب فـى تتبـادل الحـديث مـع أى شخص هذا المساء ، ومن الواضح أنك شخص يمكن الاعتماد عليك .

وبعد أن أحضرت الخادمة الشاى قال ساترويت :

ـ هل تقيمين هنا ؟

ـ نعم

ـ ولكن القصر يبدو مغلقاً دائماً .

ـ لأننى أقيم فى الجهة الخلفية منه ولايعرف أحد أننى أقيم هنا معظم شهور السنة .

ـ هل هو ملك لك ؟

ـ نعم .. إنه ملك لى منذ اثنتين وعشرين سنة بالتحديد ، وقبلها عشت فيه عاما واحداً .

ـ انها فترة طويلة جداً .

ـ هل تعنى العام أم الاثنين والعشرين ؟

ـ هذا يتوقف على .

ـ نعم .. يتوقف علي طبيعة الحياة التى يحياها الإنسان ولست أدرى أيهما أطول .. لقد انقضت فترة طويلة دون أن أتحدث إلى أحد ومن الواضـح أنـك مـن النـوع الذى يحب معرفة أسرار الغير .. كلا ياسـيدى .. لاتحـاول الاعتـذار فـإننى بحاجـة لمصارحة إنسان ما بما لدى .. فما أصعب الانتظار .

ـ من الواضح أنك لست من النوع الذى يقضى حياتـه في الانتظـار بـل يـسعى للأمور ويلعب دوراً رئيسياً فى الحياة .. إننى واثق مما أقول .

ـ أحقاً ؟

ـ نعم .. بل إننى واثق ان بحياتك تجارب هامة وربما بعض المآسى .

تنهدت وقالت : إذا كنت تقيم هنـا فلابـد أنـك سمعـت عـن الـسباح الانجليـزى القوى الوسيم الذى غرق من فوق هذا المرتفع الصخرى ، وعن زوجتـه الـشابة التى شاهدته وهو يغرق .

ـ لقد سمعت عنه بالفعل .

ـ كان هو وزوجى وهذا قـصره ، فقـد تزوجنـا عنـدما كنـت فـى الثامنـة عـشرة وعشت معه هنا بالقصر ، وقضيت معه عامـا واحـدا مـات بعـده بعـد أن دفعتـه الأمواج إلي الصخور المدببة التى مزقت جسده .. ما رأيك فى هذه المأساة ؟ إنهـا مآساة زوجة قضت عاما واحدا مع زوجهـا ثـم وجدتـه أمامهـا يـصارع الأمـواج العاتية وهى عاجزة عن إنقاذه ثم يلقى نهاية بشعة أمام ناظريها .

قال ساترويت : إنها مآساة مروعة حقاً ولايوجد أبشع منها .

- بل يوجد .. وهى صورة المرأة الشابة وهى تبتهل إلى الله أن يغرق زوجها !

- هل تعنين ..

- نعم .. أعنى ذلك .. ظن الناس أننى أبتهل إلي الله لنجاة زوجى ، ولكننى كنت أتمنى أن يلقى حتفه ويخلصنى الله منه .

وبعد قليل قالت بصوت هادئ :

- من الصعب أن ينسى المرء كل هذه الأحداث الدامية ، وبعد أن تحققت من موته شعرت بالراحة .. فلن يمكنه أن يعذبنى بعد ذلك .

قال ساترويت : يالك من إنسانة مسكينة .

- كنت صغيرة على المآساة وعديمة التجارب ، فلو أن هذا حدث لى الآن لاستطعت أن أتعامل مع الأمور بطريقة أفضل كثيراً .. عندما وقع بصرى عليه للمرة الأولى حسبته شاباً رائعاً ، وقد أعجب بى وتقدم للزواج منى ، وبعد الزواج فوجئت بأنه وحش فى صورة إنسان .. لم يكن باستطاعتى أن أفهمه أو أرضيه مهما فعلت ، كانت متعته الوحيدة هى أن يعذبنى ويفزعنى ويثير الرعب في نفسى ويبتكر الوسائل التى تشقينى ، وقد ظننت أنه إنسان مجنون ، وللأسف كنت هنا بمفردى تحت رحمته ، ومن سوء الحظ أننى حملت ولكنه جعل الطفل يولد ميتاً من فرط ما أثار الرعب والخوف فى نفسى ، وتمنيت أن ألحق به .

راح ساترويت يحاول مواساتها ببعض الكلمات بينما استطردت قائلة :

- وأخيراً جاءت النهاية دون أن أتوقع ، فقد سخرت منه بعض الفتيات وقلن له إنه لايستطيع القفز من المرتفع الصخرى إلى الماء ، قبل التحدى رغم أنهم حذوره من الهلاك .. كان مغروراً بقوته وشاهدته وهو يقفز ثم وهو يلقى حتفه ورغماً عنى شعرت بالسرور .

وبعد قليل استطردت قائلة :

ـ شعرت بسعادة بالغة بعد أن أصبح القصر ملكا لى وتحررت من قسوته وجبروته ، ولم يعد هناك من يعذبنى ، ولم يكن لى أهل فعشت وحدى تماماً وغمرنى احساس بالسعادة والسكينة كأننى ملكت الكون كله .. يكفى أننى أعيش بدون آلام .

قال ساترويت :

ـ وماذا بعد ؟

ـ من الطبيعى أن الانسان لايقنع بحاله ، فبعد عدة أشهر من العزلة التامة بدأت أفكر فى الطفل الذي مات وتمنيت لو أنه ظل علي قيد الحياة حتى يسلينى في وحدتى وتاقت نفسى إلى أى انسان ألهو به .. انها حماقة ولكن .

ـ اننى أفهمك تماماً ..

ـ وجدت شاباً انجليزياً يقيم بالفندق وبالصدفة وصل إلى حديقة القصر عندما كنت أرتدى ثوباً أسبانياً فحسب أننى أسبانية قروية ، وقررت أن أواصل اللعبة وأتظاهر بأننى حقاً أسبانية واستطعت إجاده الدور رغم رداءة لغتى الأسبانية ، فلم يكن يعرف منها شيئاً وزعمت أن صاحبة القصر الانجليزية سافرت ، وأنها هى التى علمتنى بعض الانجليزية ، وكنت أتحدث معه بانجليزية ركيكة واستمتع بذلك الدور ، وانجذب إلى وقررت أن أمثل معه دور صاحبة البيت وأننا تزوجنا في تلك الليلة وأقمنا في القصر ، واقترحت عليه أن نتسلل إلى القصر من خلال النافذة .. نفس النافذة التى نظرت أنت منها .. ثم دخلنا إلي الغرفة التى رأيتها متربة .

وبعد توقف قصير قالت :

ـ كانت ساعات رائعة يغلفها الغموض والإثارة والخيال .

ـ نعم .. اننى أدرك هذا الشعور .

ـ كان شاباً انجليزياً عادياً غادر بلاده للنزهة والاستمتاع وكان شديد المرح .. لعبنـا دور الزوج والزوجة .. هل تفهم ؟

بعد أن انتهت الليلة غادر القصر من خلال النافذة ، وفى صباح اليوم التالى لمحته وهو ينتظر فى الحديقة ويبحث عنى ، فقد كان يظن أننى خادمة أسـبانية حقـاً ولم يتخيل اننى مقيمة بالقصر ، وكنا قد اتفقنا على اللقاء في القصر فى اليوم التـالى ولكننى كنت قد قررت ألا اقابله مرة أخرى .

وبعد ان يئس من اللقاء غادر الحديقة والجزيرة بلارجعة .. فلم أره بعد ذلك أبداً وشاءت الأقدار أن أحمل وألد إبناً لـه بعـد تـسعة أشـهر ، كنـت سـعيدة للغايـة بالمولود الجميل الذى ملأ حياتى بالبهجة والأمـل ، كنـت أتمنـى أن أعـرف اسـم الشاب الانجليزى حتى أسمى المولود به ، ووجدت أننى ظلمته بالاحتفاظ بالمولود ، وشعرت بالامتنان له لأنه حقق لى أمنية غالية .

ـ وهل مايزال ابنك هنا ؟

ـ نعم .. أطلقت عليه اسم جون وهـو شـاب رائـع ينـاهز العـشرين مـن عمـره وسوف يصبح مهندساً ، وهو ابن بار لايوجد مثيل له ، وقلت له إن والده تـوفى قبل مولده.

راح ساترويت يحملق في وجه المرأة ثم قال :

ـ ولماذا لم تتزوجى خلال السنوات الماضية ؟

ـ قررت أن أهب حياتى لابنى .. ان هذه الحياة عجيبة ياسيدى .. فلم أحـب والـد الطفل عندما التقيت به لأول مرة ولابعد ذلك بأشهر حتى وضعت الطفل جـون ، كنت أحسب أنه سوف يكون صورة منى ، ولكنه على العكس جاء شبيهاً بوالـده تماماً ولايتخيل أحد أنه ابنى ، ولذلك أحببت أباه من خلاله رغم أننى لم ألتق به سوى ليلة واحدة ، ومن العجيب أننى أشعر بـالحنين إليـه وأتمنـى أن أراه .. مـن

المؤكد أنك تنظر إلى كإمراة تهذى ، ولكننى أحب هذا الرجل حقيقة بكل مافيه ، ورغم الأعوام الطويلة التى انقضت عى فراقنا إلا أننى سوف أعرفه حالما أراه .. سوف أظل أحبه حتى أموت .

وبعد قليل أردفت قائلة :

ـ أرجو ألا تظن اننى مجنونة أو أننى أروى لك قصة خيالية !

قال لها ساترويت بلهجة تفيض بالحنان :

ـ كلا .. إننى واثق من صدق حديثك

ـ هل تقدر مشاعرى حقاً ؟

ـ نعم .. ولكننى .. أعتقد أنك لم تخبرينى بشئ هام !

نظرت إليه بحدة وقالت : نعم .. فمن الواضح أن لـديك خـبرة عظيمـة بطبيعـة النفوس البشرية .. ولكننى لن أخبرك بهذا الشئ لصالحك أنت .

قال : أعتقد أن شيئاً غير متوقع قد حدث .

ـ نعم .. ولن أخبرك به

ـ حتى لا أصبح شريكاً لك في المسئولية ؟

شحب وجهها وقالت : لست أدرى

ـ من الواضح أنك تفكرين فى الانتحار .. ولكننى أنـصحك بـالكف عـن هـذا التفكير فأنت تتمتعين بالنشاط والحيوية .. فلماذا تفكرين فى الانتحار ؟

ـ حتى لايعرف ابنى أنه ابن غير شرعى كان نتيجة لليلة غرام ، سوف ينهار تماماً إذا عرف هذه الحقيقة المروعة وتنهار أحلامه في الـزواج بحبيبتـه ، إنـه يريـد أن يعرف كل شئ عن أبيه وعن أصله حتى يستطيع الإجابة على أسئلة أهل حبيبتـه ، فاذا عرف الحقيقة سوف يرحل بعيداً ويغرق نفسه فى الشراب والحزن .. لاتحاول مواساتى فإننى أعرف مدى اعتزاز ابنى بنفسه .. إنه لن يتحمل نظـرات النـاس

إليه كإبن غير شرعى ، ويمكننى أن أدبر الأمر بحيث يقع لى حادث عابر قبل حضور جون إلى هنا ولن يستطيع معرفة الحقيقة من أى شخص ، فلا أحد يعرف الحقيقة سواى .. كل ما على هو القفز من فوق المرتفع الصخرى .

- ولكن ..

- لاتحاول إقناعى ياسيدى لقد انتهيت إلى هذا القرار ولم تعد لحياتى قيمة بعد أن كبر جون والآن سوف أضحى بها من أجله .. إن حياتى لاقيمة لها .

- هل أنت واثقة من ذلك ؟

- بالتأكيد ..

- بل ان حياة الانسان قد تكون ذات قيمة عظيمة للآخرين دون أن يدرى أو أن تكون سبباً فى حياة شخص آخر .. فقد جاء رجل إلي هذا المرتفع الصخرى وهو ينوى إلقاء نفسه فى البحر لولا أن وجد رجلاً آخر يجلس على الصخر فعاد من حيث أتى ليعيش يوماً آخر .. وهكذا أنقذ الرجل الجالس حياة الأول بدون أن يدرى بما فعل .. لقد كان مجرد وجود الثانى على قيد الحياة هو السبب فى إنقاذ الأول ، وأنت أيضاً قد تسيرين فى طريق وتجدين جواداً جامحاً يكاد يدوس طفلاً رضيعاً فتنقذين الطفل وتبتعدين عن الجواد ، فتكتب الحياة للطفل وربما كبر وصار مخترعاً أو طبيباً يكتشف علاجاً لمرض خطير .

قالت بدهشة : لم يخطر ببالى ماتقول ياسيدى .

وبعد قليل قالت :

- بماذا تنصحنى ياسيدى ؟

- أن تعدينى بألا تفكرى فى الانتحار لمدة أربع وعشرين ساعة فقط .

- أعدك بهذا .

- وأن تتركى النافذة التى دخلت منها مفتوحة من الداخل وأن تنتظرى دخول

شخص ما .

نظرت إليه بدهشة ولكنها وافقت في النهاية فنهض قائلاً :

ـ سوف انصرف الان ..

دخل إلى الفندق فوجد شخصا يجلس وحده في الشرفة فاقترب منه وهو يتمنى أن يحالفه التوفيق فى مهمته الصعبة .. قال لانتونى كوذدين :

ـ لقد طالت بي الجلسة فوق المرتفع الصخرى

ـ هل كنت جالساً طوال هذا الوقت ؟ حسناً .. سوف أذهـب إلى هنـاك بعـد العـشاء للمرة الثالثة وأتمنى أن تكون الأخيرة وأرجو ألا تتدخل فلن تستطيع أن تفعل شيئاً ..

قال ساترويت : إننى لاأتدخل في حياتك ياصديقى ، ولكن أحداث الحياة عجيبة .. هل تعلم ماذا حدث الليلة ؟

قال انتونى بانفعال : ماذا حدث ؟

ـ خلال عودتى من المرتفع الصخرى تأملت القـصر العجيـب وتـساءلت عمـن يقيم به ، ووجدت نفسى أفتح إحدى النوافذ .

ـ ولكنها كانت مغلقة ؟

ـ بل وجدتها مفتوحة .. إنها النافذة الثالثة إلى اليسار

قال انتونى : ان هذا شئ عجيب .. فهى نفس النافذة التى ..

ولكنه توقف وتألقت فى عينيه نظرات تفيض بالأمل .

* * * *

فى العاشرة من صباح اليوم التالى صعد ساترويت إلي الهضبة التى ينهض فوقها القصر فرأى الباب الخارجى يفتح والسيدة التـى استقبلته بـالأمس تخـرج منـه متألقة رشيقة كأنها عادت عشرين عاماً الى الوراء ، وما كـادت تـراه حتـى قبلـت

جبينه بسعادة وقالت بصوت ينبض بالسرور :

ـ اننى سعيدة ياعزيزى .. بل إننى أسعد امرأة فى العالم .. ولكن كيف عرفت انه هو ؟ إنك لرجل ساحر

سوف نعقد زواجنا اليوم ليجد جون أباه بالمنزل عندما يعود ، وسأقول له اننا انفصلنا قبل أن يولد وهانحن نعود مرة أخرى .

ولاتسل عن فرحة انتونى عندما علم بأن له ولداً رائعا .. ان هذا آخر شئ كان يخطر بباله .. من كان يدرى إن الحياة تحمل لنا كل هذه المفاجأت ؟

قال ساترويت :

ـ أرجو أن تجعلى حياته مليئة بالسعادة خلال الأشهر القادمة

ـ لن أدعه يموت بعد أن انتظرته طوال هذه السنوات ، فكم أخطأ الاطباء وعاش المريض .

ـ إننى واثق أن حبك سيجعلك عمره يطول .

وعندما ذهب إلي المرتفع الصخرى وجد رجلاً كان يتوقع لقاءه .. إنه هارلى كوين الذى قال :

ـ من الواضح أنك سعيد بمهمتك التى نجحت فيها .

ـ هل كنت تعلم :

ـ نعم .. ولكننى جئت لمهمة أخرى تتعلق برجل مات هنا منذ اثنين وعشرين عاماً .

ـ نعم .. لكن ..

ـ لقد أحب هذا الرجل زوجته بجنون وأحبته زوجته ولكنه فشل فى إرضاء أنوثتها فانقلب حبه إلى رغبة في التدمير والتعذيب كما يحدث عادة .. اننى أتمنى لها السعادة ..وفجأة ابتعد هارلى كوين ولم يجد له ساترويت أثراً .

* * * *

الفصل ا امس

فى مصيف كان التقى مستر ساترويت بصديقته القديمة الليدى سترانلى، وفى يوم قالت له :

- اننى أشعر بالقلق الشديد من أجل ابنتى مارجرى .. انها شابة حسناء .

قال ساترويت مجاملاً :

من الصعب أن يصدق أحد أن لك ابنة شابة .

كان ساترويت يعلم أن مسز ستراانلى تنفق الكثير على جمالها حتى تبدو أصغر من أعوامها الخمسين .

ثم أردف قائلاً :

- ولكنى لماذا تشعرين بالقلق من أجلها ؟

- هل رأيتها يامستر ساترويت ؟

- كلا ..

- إنها ابنة زوجى السابق تشارلز

كان ساترويت يعلم جيداً أن مسز ستراانلى تهوى لعبة الزواج والطلاق ، فقد تزوجت من أربعة مات أحدهم وطلقت الباقين .

وبعد قليل أردفت قائلة :

- إن الأمر يبدو شديد الغموض فهى ترى وتسمع أشيك غامضة .. ربما كانت أشباحاً .. والعجيب أنها ملتزمة للغاية فهى لاتسهر ولاتحب الحفلات الصاخبة ، لاتهوى إلا ركوب الخيل والصيد والعيش فى عزلة عن العالم فى القصر الكبير، وأخشى أن تكون هذه هى بدايات الجنون يامستر ساترويت ، وربما علمت أن

قصرنا الذى يعرف باسم "ربوت ميد" كان مسكوناً بالأشباح ، ولكنه هدم فى سنة ١٨٣٦ وأعيد بناؤه مرة أخرى ولايمكن أن تعيش به أشباح .. مستر ساترويت .. هل يمكنك أن تمد لى يد المساعدة في هذه المحنة ؟

دهش مستر ساترويت ولاحظت مسز سترانلى علي وجهه علامات الدهشة فقالت :

ـ أرجو أن تقبل يامستر ساترويت ، فسوف تعود إلى انجلترا كما أنك تعرف الكثيرين ممن يهتمون بتحضير الأرواح وبالسحر .

ـ ولكن ..

فقاطعه قائلة : إننى أعتمد عليك كثيراً يامستر ساترويت .

وفى هذه اللحظة تقدم منها شاب وسيم يناهز الثلاثين من عمره فقدمته إلي مستر ساترويت قائلة :

ـ ان بوب مدرب التنس وهو رائع

فقال ساترويت وهو يراها تذهب معه : يبدو أنه سيكون الزوج الخامس .

* * * *

فى طريق عودته إلى انجلترا تلقى مستر ساترويت مفاجأة لم يتوقعها إذ وجد مستر هارلى كوين معه فى المقصورة فقال معرباً عن سروره :

ـ يالها من مصادقة رائعة يامستر كوين

ـ هل أنت عائد إلي انجلترا ؟

ـ نعم .. فلدى هناك مهمة خاصة .. هل تعرف الليدى سترانلى ؟ انها من أسرة عريقة

قال كوين ساخراً : هل تعتزم سرد تاريخ آل سترانلى ؟

ـ كلا .. ولكنها امرأة مثيرة للغاية ، فهى قد تجاوزت الخمسين من عمرها ولكن

من يراها يحسبها لم تتجاوز الأربعين ، وكنت أعرفها منذ عهد الطفولة هى وأختها الكبرى بياتريس .. كانتا فتاتين جميلتين وفقيرتين أيضاً ، وكنت أنا أيضاً شاباً وسيماً طموحاً أفيض بالحيوية ، ولم يكن اللقب العريق قريباً من بربارا أو أختها بياتريس ، فكان حامل اللقب هو ابن عم أبيها اللورد سترانلى ولكن الظروف العجيبة جعلت اللقب والثروة يستقران بين يدى بربارا ، فقد مات اخوه اللورد سترانلى وابن عمه ، ثم وقعت كارثة الباخرة بوراليا .. هل تذكرها ؟

- نعم .

- كانت بربارا وأختها بياتريس من بين ركاب الباخرة التى غرقت بالقرب من سواحل نيوزيلاند ، وغرقت بياتريس وكتبت النجاة لبربارا ، وبعد أشهر من الحادث مات اللورد سترانلى لترث بربارا كل شئ .. اللقب والثروة الطائلة ، وظهرت للجميع بوجهها الحقيقى .. فهى إمرأة أنانية لاتهتم إلابنفسها وبتحقيق كل ملذاتها والحصول على متع الحياة ، وقد تزوجت أربع مرات وهى على وشك الزواج من الخامس ..

ثم سرد على مستر كوين تفاصيل مهمته وقال :

- سوف أذهب رأساً إلي قصر :ابوت ميد" لأزور الابنة مارجرى وأحاول مساعدتها .. لماذا لا تأتى معى يامستر كوين ؟

- لن يمكننى ذلك ولكننى سوف أكون قريباً منك في فندق صغير يدعى (فندق بيلز اندموتلى) ويمكنك أن تجدنى خلال الأسبوع الحالى .

* * * *

قصد مستر ساترويت مباشرة إلي قصر ابدت ميد وطلب مقابلة مارجرى التى استقبلته مرحبة .. كانت فتاة طويلة القامة سوداء الشعر بارزة الأنوثة ، وشعر

ساترويت بأنها تشبه أباها وانها تتميز بالعقل والحكمة ، ولكنه تذكر شيئاً هاماً .. فقد عانى بعض أفراد أسرتها من الاضطرابات العقلية ، أى أن الفتاه ورثت قوة الجسد والحيوية عن والدها بينما ورثت الجنون عن أمها .

راح مستر ساترويت يتحدث إلي الفتاة بلطف ثم قال لها ضاحكاً :

ـ أرجو أن تدعى القلق جانباً ياعزيزتى فربما كان الأمر مجرد أوهام .

قالت مارجرى : كم أمقت المرأة التى تدعى مسز كاسون التى تعمل بتحضير الأرواح فأنا لا أحب هذه الأعمال ولا أريد أن أراها .. قالت إنها سوف تستعين بوسيطة روحية لتساعدها فى طرد الأصوات الخفية .

ـ حسناً يامارجرى .. قالت والدتك انك بدأت تسمعين هذه الأصوات منذ حوالى شهرين

ـ نعم يامستر ساترويت .. فهى أحياناً تكون خافتة وأحياناً واضحة أو هى دائماً تردد نفس الكلمات .

ـ وما هى هذه الكلمات ؟

ـ (أعيدى ماسبق وإن حصلت عليه بغير وجه حق) وعندما أضئ الغرفة لا أجد أحداً وفي النهاية اضطررت إلي استبقاء كلايتون لتنام في حجرتى .

ـ وهل سمعت الصوت بعد ذلك ؟

ـ نعم ، ومن العجيب أن الوصيفة كلايتون لم تكن تسمع الصوت ولذلك نصحتنى بالذهاب إلى طبيب نفسانى ، فقد كانت تظن أننى مجنونة ولكنها بالأمس فقط بدأت تقتنع ، فبالأمس أويت الى فراشى في وقت مبكر بسبب شعورى بالارهاق بعد المجهود الشاق الذى بذلته فى الصيد ، ورأيت في المنام أننى أسقط على سياج حديدى مدبب دخل أحد قضبانه في عنقى والصوت الغامض يهمس قائلاً (اعيدى ماسبق وإن حصلت عليه بدون وجه حق)

فصرخت فزعاً وعندما استيقظ لم أجد شيئاً ، وكانت كلاتيون تنام في الغرفة المجاورة فأيقظتها صرختى فهرعت إلي وأثناء دخولها الغرفة شعرت بشئ يلامس جسدها .. شي غير آدمى .

ثم أشارت مارجرى إلى جرح بعنفها وقالت :

ـ هذا هو أثر الوخرة التى شعرت بها أثناء النوم ، وهذا يعنى أن الأمر ليس مجرد وهم

قال ساترويت : هل يوجد أحد يحقد عليك ؟

ـ كلا ..

ـ هل حضر بعض الضيوف للإقامة في القصر خلال الفترة الأخيرة ؟

ــ نعم .. صديقتى العزيزة مارسياكين التى تشاركنى في هواية ركوب الخيل ، وهى مازالت تقيم هنا ، وهناك أيضاً ابن عمى رولى الذى يأتى بين وقت وآخر .

ـ هل قضت معك الوصيفة كلايتون فترة طويلة ؟

ـ نعم .. فقد كانت هى وصيفة أمي وخالتى بباتريس ولذلك احتفظت بها أمى بجانب وصيفتها الفرنسية وبعد قليل حضرت الوصيفة كلايتون .. كانت طويلة القامة نحيلة الجسم يبدو عليها الوقار والهدوء

قالت لمستر ساترويت :

ـ لقد كنت أظن مس مارجرى واهمة حتى أمس عندما شعرت بشئ يلمس جسدى ثم يهرب والجرح الذى يوجد فى عنقها أيضاً فلايمكن أن تكون هى التى فعلت هذا

فقال ساترويت لنفسه : ترى هل يمكن أن تفعل مارجرى هذا لغرض فى نفسها ؟ كأن تثبت لهم أنها ليست كاذبة .. هناك فتيات كثيرات يفعلن ذلك .

قالت مس كلايتون : من حسن الحظ أنه غير عميق مثل هذا الجرح .

وأشارت الى أثر جرح عميق في جبينها وقالت :

ـ أصبت بهذا الجرح منذ أربعين عاماً .

فقالت مارجرى : أصيبت بهذا الجرح عندما سقط على رأسـها قـضيب حديـدى أثناء غرق الباخرة بوراليا .

قال ساترويت : وما رأيك يا مس كلايتون فيما يحدث هنا ؟

ـ لست أدرى .. ربما وقع ظلم ما ، فإذا رفع الظلم وعـاد الحـق لأصـحابه فـسوف تعود الأمور كما كانت .

شعر ساترويت ببرودة نظراتها بعينيها الزرقاوين الباهتتين .

لم يكن ساترويت مقتنعاً بأن هناك ظلماً وقع على أحد بالقصر ، وتذكر شيئاً هاماً .. فقد بدأت هذه الأحداث منذ شهرين فقط ، فهل هى مصادفة أن تقع عندما أقامـت مارسيا كين بالقصر ؟ وكذلك منذ بدأ رولى ابن عم مارجرى يتردد عليها .

وقرر أن يتحرى عن كليهما فربما يكون الأمر مجرد دعابة ثقيلة .

* * * *

وجد مارجرى تطالع رسالة وعندما رأته قالت :

ـ انظر إلى هذه الرسالة الغريبة التى وصلتنى من أمى .

طالع ساترويت مايلى :

ـ عزيزتى مارجرى : أتمنى أن ينجح مسز ساترويت فـى كـشف سـر الأصـوات الغامضة التى تسمعينها ، وهو يعرف الكثيرين من العاملين بالمباحث الجنائيـة .. كنت أتمنى أن أكون بجانبك الآن ، ولكننى أشعر باضطراب شديد في صحتى فـى الفترة الأخيرة ولم أغادر الفراش .

شكراً لك على علبة الشيكولاته التى أرسلتها إلى .. أعتقد ان ما اصابنى هو من جراء إهمال الفندق فى الطعام)

قال ساترويت : هل أرسلت إليها علبة شيكولاته ؟

ـ كلا وهذا مثار عجبى !

وعلى الفور ربط ساترويت بين الشيكولاته وبين الأعراض المرضية التى تعانيها المرأة ، والتى لم تنشأ عن إهمال الفندق للطعام .

وبعد قليل أقبلت مارسياكين وكانت فتاة طيلة القامة خمرية اللون فعرفتها مارجرى على مستر ساترويت فقالت متهكمة : هل سينجح مستر ساترويت فى الإيقاع بالأشباح ؟

ثم اندفع شاب ذهبى الشعر باسم الوجه وقال : أخيراً سوف أساعدكم في حل المشكلة .

كان يصطحب معه امرأتين .. مسز كاسون وزميلتها مسز لويد الوسيطة الروحية

قالت مسز كاسون : لقد أصر مستر رولى على اصطحابى إلى هنا لمساعدتكم فى طرد الشبح أما مسز لويد فكانت تضع كمية كبيرة من المساحيق على وجهها وتتحلى بعدد من الخواتم وبقلادة عجيبة الشكل ، ولاحظ ساترويت أن مارجرى غير سعيدة بحضور مسز كاسون وزميلتها وانها نظرت إلى ابن عمها رولي نظرة غاضبة .

جلس الجميع لتناول طعام الغذاء وتشممت مسز لويد الهواء وقالت :

ـ من الواضح أن هناك شيئاً غير طبيعى في جو القصر .

* * * *

فى غرفة المكتبة عقدت جلسة لتحضير الأرواح وقالت الوسيطة :

ـ ان عددنا ستة فقط ومن الأفضل أن نكون سبعة

فطلبت مارجرى استدعاء الوصيفة كلايتون ولكن رولي قال باستياء واضح :

ـ كلايتون ؟ لماذا هى بالذات ؟

قالت مارجرى .. أعلم أنك لاتحبها .

ـ بل انها هى التى لاتحبنى .. حسناً يامارجرى .. لامانع من حضورها .

وبدأت الجلسة بحضور كلايتون وتم إطفاء الأنوار وإسدال الستائر ثم سمع الجميع طرقات منتظمة وقالت الوسيطة :

ـ المحارب الهندى يريد أن يتحدث إليكم .. بجوارى روح تتلهف على الحديث إليكم .

ثم سمعوا صوتاً نسائياً يقول : أريد أن أتحدث إلي مارجرى

قال رولى : من المتحدثة

ـ خالتها بياتريس

انتبهت حواس ساترويت وسمع الصوت يقول :

ـ أنا خالتها بياتريس التى غرقت فـى حـادث البـاخرة يوراليـا وأقـول لمـارجرى (اعيدى ماسبق وأن حصلت عليه بدون وجه حق)

قالت مارجرى : هل أنت خالتى بياتريس حقاً ؟

قالت كاسون : نعم .. انها هى بالتأكيد فلايجب أن يشك أحد فيما تقول الأرواح .

وفجأة قال ساترويت : هل تذكرين بوتاكينى ؟

سمع الجميع ضحكة ثم قال الصوت : نعم .. انه المسكين بوتابسيتى !

انتقض جسـد مسـتر سـاترويت وهـو يـسمع ذلـك ، فكلمـة بوتابـسيتى تعنـى بالإيطالية (قلب المركب) ولذلك قصة .. فقد كـان هـو وباربـار او بيـاترس فـى مصيف برايتون منذ أربعين عاماً .. وكان معهم صديق ايطالى انقلب بـه المركـب يوماً فأطلقوا عليه هذا الاسم (بوتابسيتى) وبالطبع لايوجد أحد مـن الحاضـرين يعلم بذلك .

وبعد قليل أنهت مسز كاسون الجلسة ، وأضيئت الأنوار بالغرفة .

لاحظ مستر ساترويت أمارات الخوف الشديد علي وجه مارجرى فاصطحبها إلى

قاعة الجلوس وقال لها : لاداعى للقلق ياعزيزتى .. ترى إذا توفيت أنت ووالدتك من الذى يرث اللقب والثروة ؟

- رولى ابن عم أمى .

قال ساترويت : لقد بدأ يتردد على القصر كثيراً فى الفترة الأخيرة فهل يحبك ؟

- لست أدرى ، ولكنه عرض علي الزواج منذ ثلاثة أسابيع ورفضت .

- معذرة لفضولى ياعزيزتى .. هل تحبين شخصا آخر ؟

بدت على وجهها علامات الخجل وقالت :

- نعم .. اننى أحب الكاتب نويل بارتون رغم معارضة أمى لزواجـى بـه .. انـه شاب مهذب ورزين ..

أقبل أحد الخدم يحمل رسالة فضتها مارجرى ثم هتفت قائلة :

- سوف تحضر أمى غداً .. يالها من مفاجأة .

قال ساترويت : فى هذه الحالة لايوجد مبرر لبقائى .. سوف أعود إلى لندن الليلة .

* * * *

فى طريق عودته إلى لندن ظل سـاترويت يفكـر فـى هـذه المـشكلة وهـو يـشعر بالراحة لحضور مسز سترانلى حتى تتحمل المسئولية تجاه ابنتهـا ، ولكنـه بحاسـته البوليسية شعر بأن شيئاً ماسوف يقع بالقصر .

وبعد أيام قلائل وقع ماكان يخشاه .. فقد طالع فى الصحف نبأ العثور علـى جثـة مسز سـترانلى غارقـة فـى البـانيو بحمـام القـصر ، وتـبين أن سـبب الوفـاة هـى اسفكسيا الغرق .

ثارت الشكوك بعقل ساترويت وعلى الفور اتجه إلى فندق (بيلزاند موتلى) ومن حسن حظه أن وجه هارلى كوين هناك فقال له ساترويت :

- من المؤكد أنك علمت بما حدث فى" آبوت ميـد" .. اننـى أشـعر بـالقلق علـى مارجرى .

قال كوين : لن يتم حل هذا اللغز إلا عن طريقك ، فأنت تعـرف كـل المقـيمين بالقـصر .. نعـم .. فقـد عـرفتهم منـذ أربعـين عامـاً حيـث قـضيت مـع بربـارا وبياتريس أياماً رائعة فى مصيف براتيون وتعرفنا بالايطـالى بونابـسيتى ، وأذكـر الوصيفة الجميلة أليس التى غازلتها يوماً فى ردهة الفندق .. كانت أياما رائعة .

وتنهد ثم قال : هل يمكنك مساعدتى يامستر كوين ؟

- يجب أولاً أن تذهب إلي القصر حالاً

- انني ذاهب بالفعل .. لماذا لا تأتى معى ؟

ولكن كوين اعتذر لقيامه بعمل آخر فذهب ساترويت إلى القصر والتقى بالفتاة الحزينة مارجرى التى أعلنت أرتياحها لحضوره وقالت :

- مستر ساترويت .. إننى أشعر بالارتياب في وفاة أمى وأعتقـد أن شخـصا مـادفع رأسها بقوة أسفل الماء حتى تغرق ، ولابد أن هذا الشخص سوف يقتلنـى ، وهـا أنا أكتب وصيتى الآن !

سوف أوصى بجزء كبير من الثروة لنويل حبيبى .. أرجو ان توقـع الوصـية بجـوار الشاهدة الأولى الوصيفة كلايتون .

تناول ساترويت القلم ليوقع وفجأة قرأ اسم (آليس كلايتون) وعلى الفـور عـاد بذكراته أربعين عاماً إلى الوراء وتذكر الوصيفة الجميلة آليس .. وأدرك الحقيقة .

سقط من يده القلم وظلت الفتاة تحملق في وجهه فقال :

- لقد عرفت الحقيقة .. انها مفاجأة قاسية يـاعزيزتى .. إن الوصـيفة التـى وقعـت الوصية ليست هى اليس كلايتون .. فقد غرقت الوصيفة مع الباخرة يوراليا .

- ومن هى اذن ؟

ـ انها حالتك بياتريس ! لقد أصيبت بقضيب حديدى على رأسها ففقدت الذاكرة ، ووجدت والدتك أنها فرصة للحصول على اللقب والثروة فادعت أن أختها بياتريس هى التى ماتت وأن الفتاة الجريحة هى وصيفتها ، وأخيراً عادت الذاكرة إلى بياتريس ولكنها أصيبت باضطراب عقلى فعمدت إلى القيام بهذه التصرفات العجيبة لافزاعك واسترداد أموالها ..

صعدا إليها فوجداها جالسة بلا حرك في مقعدها فاقترب منها ساترويت وفحصها ثم قال :

ـ لقد توفيت بالسكتة القلبية !!

وتنهد هو ومارجرى بارتياح .

* * * *

الفصل السادس

قبل مستر ساتروت دعوة أحد أصدقائه بالذهاب إلي قصره بالريف .. شعر ببعض الملل وكان يفكر فى العودة إلي لندن عندما اقترح الأصدقاء اعقد جلسة للتنويم المغناطيسى من أجل التسلية ، اضطر ساترويت للجلوس معهم وإن لم يكن متحمساً ولكن وقعت مفاجأة لم يتوقعها .

فمنذ حوالى ساعة اتصلت به مادج كيلى صديقته وطلبت منه قبول دعوتها بالحضور إلي قصرها فى بلدة لايدل ولكنه اعتذر .

وانتبه فجأة عندما سمع الوسيط الذى تم تنويمه يقول :

- رسالة الى مستر ساترويت .. هل هو موجود هنا ؟

- نعم .

- انها رسالة من مستر هارلى كوين يطلب إليه بسرعة الذهاب إلى لايدل .. قصر مادج كيلى ..

شعر ساترويت بالذهول فنهض مسرعاً للاتصال بمادج كيلى ، وعندما سمع صوتها قال :

- لقد قبلت دعوتك وسأحضر إليك بعد قليل .

فرحبت مادج كيلى بقبوله الدعوة .

وبعد أن أعاد السماعة إلى موضعها شعر بالدهشة من سلوك الرجل الخفى هارلى كوين .. ترى لماذا أبلغ إليه الرسالة عن طريق الوسيط ؟ لاشك أن هناك أحداثاً خطيرة سوف تقع في قصر مادج كيلى .

ترى ماهى هذه الأحداث ؟ وماهو دوره فيها ؟ إنه واثق من أهميـة رسـالة كـوين وضرورة تنفيذ تعلمياته بكل دقة .

* * * *

كان القصر ملكاً لمستر دافيد كيلى وهو قصر رحب محـاط بحـدائق جميلـة ، أمـا دافيد كيلى فهو رجل هادى ضعيف الشخصية ، وان كـان نـشيط الـذهن واسـع المعرفة وضع كتاباً قيماً فى الرياضيات المتقدمة لايفهمه العامة ورغم نباهته فقـد كان الجميع يتجاهلونه ولايكادون يشعرون به .

أما ابنته مادج فكانت تختلف عنه كثيراً ، فهـى جميلـة .. متألقـة .. تتميـز بالنـشاط والحيوية

أحسنت استقبال ساترويت وقالت :

ـ لقد سعدت كثيراً بقبولك الدعوة بعد أن رفضتها .

ـ اننى سعيد برؤيتك ياعزيزتى مادج .. من الواضح أن حالتك طيبة للغاية .

ـ نعم ..

ـ يبدو أن هناك مايبعث على السعادة فى حياتك .

احمر وجه الفتاة خجلاً وقالت :

ـ نعم يامستر ساترويت .. لقد التقيت بفارس الأحلام .

ـ هل يمكننى أن أعرف اسمه ؟ اننى أحسده على حظه السعيد .

ـ شكراً لك يامستر ساترويت .. أشعر بأننا سـوف نكـون سـعداء للغايـة معـاً ، فنحن مشتركان فى نفس الأفكار والآراء وهذا يبحث على الاطمئنان .

ـ بالطبع .. ولكن المرء لايمكنه أن يعرف كل شئ عن أى شخص بسهولة .

قالت ضاحكة :

فلتكن مغامرة يامستر ساترويت .

* * * *

أنتهى ساترويت من ارتداء ثيابه ووصل إلى مائدة العشاء بعد أن جلس الجميع فى انتظاره واستقبلته مادج مع سيدة طويلة وخط الشيب شعرها قاالت له بصوت رنان :

- مرحباً بك يامستر ساترويت ..

ولمح دافيد كيلى يحييه فقال :

- أرجو المعذرة يامستر كيلى .. إننى لم أرك .

قال الرجل بلهجة غامضة :

لاداعى للاعتذار .. فمن الصعب أن يرانى أحد !

تبادل الجميع الضحكات على مائدة العشاء ودارت الأحاديث المختلفة ، وكان ساترويت يجلس بجوار مادج والى جواره من الناحية الأخرى جلست فتاة سوداء الشعر قصرة القامة تدعى دوريس .. كان من الواضح أنها قوية الإرادة ، ولم يكن مستر ساترويت يميل إلى هذا النوع من النسله ، وجلس إلى جوار مادج من الناحية الأخرى رجل يناهز الثلاثين من عمره يشبه السيدة التى استقبلت ساترويت فأدرك أنه ابنها ، وجلست إلى جوار الشاب فتاة أثارت دهشة ساترويت وعجبه لأقصى حد .

لم تكن جميلة جمالاً خارقاً ولكنها كانت مثيرة شديدة الغموض .

كانت تنصت إلى حديث ديفيد كيلى وكأنها غير موجودة بالقاعة ، وشهد ساترويت بأنها أرق من جميع الحاضرين وأكثر شفافية وروعة ، وعندما التقت

نظراتهما قال لنفسه : يالها من فاتنه .. كانت هذه الكلمة هـى أول كلمـة قفـزت إلى ذهنه .. فهي ساحرة كفتيات الأساطير ورغم ذلك كان يشعر بالرثاء من أجلـها ..

قال لنفسه : إنها تشبه الطائر المهيض الجناح !!

انتبه ساترويت لنفسه وأفاق من أفكاره ولاحظ أن دوريس التي تجلس إلى جواره تتبادل الحديث مع رجل لم ينتبه إليه من قبل .

قال لمادج : من هذه السيدة ذات الشعر الأبيض التى تجلس إلى جوار والدك ؟

ـ مسز جراهام .. إنها مابل انيـسلى التـى تنتمـى لأسـرة جلاديـسلى المنحوسـة الطالع !

شعر بالدهشة لهذا التعبير ولكنه تذكر على الفور مآساة هذه الأسرة .

فقد قتل أحد أفرادها نفسه بالرصاص وغرقت اخته ومـات شـقيقه فـى زلـزال ، ويبدو ان مابل هى الأخت الصغرى .

شعر ساترويت بيد مادج وهى تضغط على يده أسفل المائـدة وتهمـس فـى أذنـه قائلة :

ـ مستر ساترويت .. هذا هو ..

أدرك أنها تعنى جراهام حبيبها .. كان شابا وسيما .. أنيق الثياب حلـو الحـديث ، ومن الطبيعى أن تقع فى حبه .

بعد الانتهاء من الطعام اقترب ساترويت من جراهام وأخذ يتحـدث معـه فـشعر بأنه على خلق ، ولفت نظره أن يد الشاب كانت ترتعش وهـو يرفـع القـدح إلى شفتيه وأنه كان شارد الذهن دائماً .

قال ساترويت لنفسه : من الواضح أن هناك شيئاً ما يشغل ذهن الفتى .. ترى ماهو ؟

صعد ساترويت إلى غرفته لتناول بعض حبوب الهضم التـى اعتـاد علـى تناولهـا عقب الطعام ، وأثناء هبوطه مربدهليز طويل يؤدى إلى قاعة الجلـوس .. وقبـل أن

يصل إليها تصلب جسده وهو يلقى نظرة إلي غرفة صغيرة بجواره .

كان نور القمر يتسلل من النافذة ويلقى بظلال ساحرة داخل الغرفة بينما جلست إلى حافة النافذة سيدة تعزف على القيثارة التى تصدر أنغاماً ساحرة ، وصوتها العذب يصاحب النغمات فيبدو كغناء الملائكة .

كانت المرأة ترتدى ثوباً من الشيفون الأزرق الذى بدا كأنه ريش طائر .

دخل ساترويت إلى الحجرة وقال هامساً :

- آسف للازعاج

فدعته المرأة للجلوس على مقعد خشبى وقالت :

- ان الليلة حافلة بالسحر والجمال ..أليس كذلك ؟

- بالتأكيد .

- لقد طلبوا منى أن أحضر قيثارتى لأعزف لهم ، وفى طريق عودتى مررت على هذه الحجرة وجذبنى ضوء القمر وشعرت برغبة طاغية في الانفراد بنفسى .

- إذن .. يجب ان أنصرف

- كلا .. بل انك تجعل الجو يزداد سحراً .. إنها ليلة غامضة حقاً حافلة بالسحر .. فمنذ قليل فرحت إلى الغاية والتقيت برجل طويل القامة يرتدى ملابس عجيبة تشبه المهرج الاسطورى (هارلى كوين) .. وشعرت برغبة قوية فى أن أتحدث إليه واننى أعرفه من قبل ولكنه اختفى بين الأشجار .

قال ساترويت : أعتقد أننى أعرف هذا الرجل

- انه رجل عجيب .

خيم الصمت عليهما قليلاً إلى أن قال ساترويت بارتباك

- عندما يشعر الإنسان بالتعاسة يميل للانفراد بنفسه و....

فقاطعته قائلة : انت على حق .. ولكننى أنفرد الآن بنفسى لأننى سعيدة للغاية .

شعر ساترويت بأن مابل انيسلى تعنى شيئاً آخر بالـسعادة .. شـيئاً غـير ماتعنيـه مادج كيلى مثلاً .

قال : يبدو أننى اخطأت الفهم .

قالت مابل :

- كلا .. إننى لست سعيدة الآن ، ولكن بعد أيام سوف أصبح أسعد مخلوقة علـى وجه الأرض .. سوف تتحقق أحلامى بعد سنوات من اليأس والحزن .

قال ساترويت :

- من المؤسف أن بعض الأحلام التى تراودنا لسنوات طويلة تبدو رائعة قبـل أن نبلغها ، وعندما نصل إليها نجدها لاتستحق و ...

ولكنه سمع وقع خطوات خلفه فالتفت ورأى ذلك الرجل الذى أثار نفـوره علـى العشاء وسمعه يقول : مابل .. إنهم في انتظارك .

تلاشت علامات السعادة عن وجه مابل وقالت ببرود

- سوف ألحق بك بعد أن أنتهى من حديثى مع مستر ساترويت .

كان جيرارد هو زوجها وشعر ساترويت بأن وجهـه يحمـل تعـبيرات مـن اليـأس والحرمان واللهفة ..

فقال لنفسه : من الواضح أنه عاشق لزوجته ولكنه محروم منها ..

أخذت مابل تغنى والجميع يـرددون غناءهـا ، وكانـت مـاهرة فـى العـزف علـى القيثارة ذات صوت مؤثر جعل ساترويت يتذكر أغنيته المفـضلة ، قطعـت مابـل الغناء ونظرت إليه نظرة عميقة ثم بدأت فى ترديد الأغنية التى كان يرددها وهى (يا حمامتى الجميلة) .

وأخيراً انتهت الجلسة وقدمت مادج الكئوس إلـيهم بينمـا كـان والـدها ديفيـد كيلى يحاول العزف على القيثارة وهو شارد الذهن ، ثم بدأ الجميع في الانصراف

تباعاً وهم يتحدثون ثم انصرف جيرارد اتيسلى زوج مابل .

تبادل ساترويت التحية مع والدة مستر جراهام الذى تحبه مادج ، ثم صعدت المرأة مع ابنها سلما يقع في نهاية الدهليز للوصول إلي الطابق الأعلى وكـان جـيرارد اينسلى قد سبقهما في الصعود على نفس السلم .

قالت مادج لمابل : أرجو أن تحملى معك قيثارتك حتى لاتنسيها فى غرفة الجلوس خاصة وأنك سوف ترحيلن فى الصباح الباكر .

أما الفتاة دوريس فقد قبضت على ذراع سـاترويت وقبـضت مـادج علـى ذراعـه الأخرى وصعدوا إلى الطابق الأعلى عـن طريـق الـسلم الـذى يقـع فـى نهايـة الدهليز فيما كانت ضحكات دوريس تتردد عالياً ، وقفوا قليلاً فى انتظـار ديفيـد كيلى الذى قام بإطفاء الأنوار ثم صعد معهم .

* * * *

كان مستر ساترويت يتأهب للتوجه إلى قاعـة الطعـام عنـدما أقبلـت عليـه مـادج بوجه شديد الامتقاع وقالت وهى ترتعد : إنه شئ رهيب يامستر ساترويت .

ـ ماذا حدث ؟

ـ مابل .. شنقت نفسها فى حجرتها !

وراحت تبكى بعنفه بينما أخذ ساترويت يهـدئ مـن روعهـا ثـم هـبط إلى الطـابق الأول فوجد ديفيد شديد الاضطراب وقـال لـه : يبـدو أنهـا ماتـت .. لقـد اتـصلت بالبوليس ، أما الطبيب فقال إنها ماتت .. من الواضح أنها كانت تعيسة فى حياتها .

قال ساترويت : نعم .. كان هذا واضحا تماماً .

وبعد تردد قال ساترويت : هل يمكنى .. هل يمكنى أن أراها ؟

ـ بالطبع .. انك تهتم بمثل هذه الأمور دائماً .

صعدا معاً إلي الطابق الأعلى حيث كانت الغرفة الأولى هى غرفة روجر جراهام وأمامها غرفة والدته مسز جراهام وكان بابها مفتوحاً يخـرج منه دخـان خفيـف ، وتعجب ساترويت وقال لنفسه : هل يمكن أن تدخن مسز جراهـام في مثـل هـذه الساعة المبكرة ؟

وعندما وصلا إلى باب الغرفة قبل الأخيرة دفعة ديفيد كيلـى ودخـل ومـن خلفـه ساترويت .. كانت غرفة كبيرة تدل محتوياتها على انهـا غرفـة رجـل ويوجـد بهـا باب يفضى إلي غرفة أصغر تتدلى من بابها قطعة من الحبال بينمـا رقـدت جثـة مابل علي فراشها وكان منظرها مخيفاً .

راح ساترويت يتأملها وهى ترتدى ثوبها الأزرق الذى يشبه ريش الطيور وشـعر بالحزن عليها ، فمنذ قليل كانت تفـيض رقـة وحيويـة وعذوبـة .. راح سـاترويت يتأمل الباب الأخير والحبل الذى يتولى منه ثم انتقل الى البـاب الأوسـط وقـال لديفيد :

ـ هل كان هذا الباب مغلقاً أم مفتوحاً ؟

ـ قالت الخادمة إنه كان مفتوحاً ، وقال زوجها إنه لم يـسمع شـيئاً وهـو نـائم فـى الغرفة المجاورة .

ـ ان هذا شئ عجيب ..أين هو الآن ؟

ـ مع الطبيب ..

صعد المفتش ونكفيلد مع الطبيب لفحص القتيلة وطلب من الجميع الانتظار في قاعة الجلوس .. كانت دوريس تبكى وجسدها يرتعش ، بينما ظلـت مـادج كيلـى قوية الأعصاب كعادتها وكذلك مسز جراهام ، بينما كـان روجـر جراهـام شـديد الاضطراب ، وكالعادة لم يكن أحد يشعر بوجود ديفيد كيلى وجلس زوج القتيلة وحده وبدا على وجهه الحزن الشديد والذهول .

وبعد قليل حضر المفتش ومعه الدكتور موريس ثم قال :

ـ مستر انيسلى .. هل سمعت زوجتك يوماً تهدد بالانتحار ؟

ـ كلا .. لم أسمعها تتحدث في هذا الأمر أبداً

ـ هل كان يوجد في حياتها مايجعلها تبدو تعيسة ؟

ـ كلا ..

ـ أرجو أن تذكر لى ما حدث ليلة أمس ..

ـ صعدنا إلي غرفتنا للنوم ، وقد استغرقت فى نوم عميق لم أسمع أى شئ ، واستيقظت في الصباح الباكر على صراخ الخادمة فأسرعت إلى غرفة زوجتى لأرى المنظر المروع .

ـ أين رأيت زوجتك للمرة الأخيرة ليلة أمس ؟

ـ هنا .. فى هذه القاعة

ـ ولماذا ؟

ـ لأننى انصرفت قبل الآخرين للصعود إلى غرفتى بينما كانوا يتبادلون الحديث

ـ ألم تتبادل معها تحية المساء ؟

ـ كنت نائماً .

ـ أعتقد أنها لم تتأخر كثيراً .. أليس كذلك يامستر كيلى ؟

أومأ كيلى برأسه بالإيجاب فقال انيسلى :

ـ كلا .. لقد انقضت نصف ساعة على عودتى إلي غرفتى دون أن تعود زوجتى إليها

سأل المفتش مسز جراهام عما إذا كانت مابل قد دخلت معها إلى غرفتها فلاحظ ساترويت أنها ترددت قليلاً ثم قالت :

ـ كلا .. لقد صعدت إلي غرفتى وأغلقت بابهاثم استغرقت فى نوم عميق

قال المفتش لاينسلى : لقد كان الباب الأوسط مفتوحاً .. فكيف لم تر أو تسمع شيئاً ؟

ـ أعتقد أنه كان باستطاعة زوجتى الدخول مباشرة إلي غرفتها عن طريق الباب الذى يؤدى إلى الدهليز .

ـ حتى إذا حدث ذلك فكيف لم تسمع صوت حشرجة أو صوت الألم والاحتضار ؟

وهنا ألقى ساترويت بقنبلته عندما قال :

ـ معذرة ياسيدى المفتش .. ان مسز انيسلى لم تنتحر بل انها قتلت ! اننى واثق من هذا

قال المفتش : ولماذا أنت واثق ؟

ـ شعورى يؤكد لى ذلك .

ـ ان هذا لايكفي ولابد من وجود آدلة على ذلك .

كانت الأدلة لدى ساترويت هى رسالة هارلى كوين الغامضة ولايمكنه أن يبوح بها بالطبع فقال .

ـ كنت أتحدث معها ليلة أمس وأعربت عن سعادتها البالغة وقالت انها سوف تصبح أسعد امرأة في العالم بعد أيام قلائل .. فكيف أصدق انها انتحرت في نفس الليلة ؟

بل انها عادت إلي قاعة الجلوس لإحضار قيثارتها حتى تأخذها معها عندما تسافر صباح اليوم .. فهل تفعل هذا وهى تنوى الانتحار ؟

قال المفتش : كلا بالطبع

ثم قال لديفيد كيلى : هل حملت معها القيثارة إلي غرفتها ؟

قال ديفيد بعد قليل من التفكير :

ـ أعتقد ذلك .. فقد رأيتها وهى تحملها بينما كنت أطفئ الأنوار

وهنا أشارت مادج إلى منضدة قريبة وهتفت قائلة :

ـ انظروا .. هاهى القيثارة مازالت هنا

أعرب المفتش عن دهشته واستدعى الخادمة المسئولة عن ترتيب الغرف وذكرت أن القيثارة كانت فى هذا الموضع منذ الصباح ، وبعد انصرافها طلب المفتش ان يتحدث مع ساترويت على انفراد وقال له :

- اننى واثق من وجود جريمة قتل يامستر ساترويت

- نعم ياسيدى المفتش .. ولكن هل كنت تشعر بذلك ؟

- نعم .. فقد ثارت شكوك الدكتور موريس بسبب بعض الظواهر الغامضة ، فبعد أن فحص الجثة اكتشفت أن الحبل الذى وجد حول عنقها ليس هو الحبل الذى استخدم فى قتلها ، فالأخير أقل سمكاً ويشبه السلك الرفيع ، وكانت آثاره واضحة علي عنقها ، وبعد أن ماتت تم وضع الحبل المعلق بالباب حول عنقها حتى يبدو الأمر كما لو كان انتحارا

قال ساترويت : ترى من الذى ..

- لابد أن نعرف من هو القاتل .. إن موقف الزوج يثير الشك .. فهو لم يسمع شيئاً ولم يتبادل مع زوجته تحية المساء رغم أنه ينام في الغرفة المجاورة لها .. ترى ماذا كانت طبيعة العلاقة بينهما؟

مستر ساترويت .. أرجو أن تساعدنا في كشف غموض الجريمة بسرعة .

- ولكن ..

- لقد كنت بارعاً فى العديد من الجرائم التى شاركت فيها وحققت نجاحاً كبيراً

قال ساترويت خجلاً :

- أعدك بأن أبذل قصارى جهدى ياسيدى المفتش .

أخذ ساترويت يفكر في الزوج جيرارد انيسلى ويتساءل : هل هو القاتل : لقد كان ينظر إليها نظرات يائسة الليلة الماضية ، فمن الواضح أنه يحبها وانه شقى بهذا الحب وربما دفعه الشقاء لقتلها !

ثم تذكر شيئاً هاماً .. فعندما تحدثت إليه مابل ذكرت أنها على وشك الخروج إلي النور وإلى عالم الأحلام .. فماذا يعنى ذلك ؟

وقد ذكر زوجها أنها بعد انقضاء نصف ساعة لم تعد إلى غرفتها رغم تأكيد ديفيد كيلى أنها صعدت إلى الطابق الثانى .. ترى هل دخلت إلى غرفة أخرى غير غرفة مسز جراهام التى أنكرت ذلك ؟

ولكن الشاب يحب مادج كيلى وهما شبه مخطوبين .

وتذكر فجأة الدخان الذى رآه يتسرب من غرفة مسز جراهام وبسرعة صعد إلى الغرفة فدخلها وأغلق الباب خلفه بالمفتاح وراح يدير عينيه فى أنحائها .. توقف امام المدفأة حيث وجد كومة من الرماد فاستدل على أنه قم تم إحراق كمية من الأوراق .. راح يقلب الرماد لعله يجد بقايا لم تحترق .

وأخيراً عثر على قصاصة قرأ فيها : (روجر العزيز .. اننى أشعر بسعادة لاتوصف بعد أن عرفتك ، ولايمكنك أن تتخيل كم كانت حياتي قاسية قبل ذلك .. كانت كابوساً مخيفاً)

وقرأ فى قصاصة أخرى (أعتقد أن جيرارد عرف الحقيقة ولكن ماذا بإمكاننا أن نفعل ؟ اننى سعيدة بهذا وأتطلع للحياة معك)

(ترى هل ستخبره بالحقيقة في قصر لايدل أم ماذا ستفعل ؟ اننى لا أكاد أفهم شيئاً من خطاباتك)

احتفظ ساترويت بالقصاصات فى مظروف ثم فتح الباب ليجد أمامه مسز جراهام .

نظرت إليه نظرة عدائية فقرر المبادرة بالهجوم وقال :

ـ اضطررت لفتيش غرفتك ياسيدتى ، وقد أثمر التفتيش عن العثور على بقايا رسائل لم تحترق !

تقلصت عضلات وجهها وظهر عليها الاضطراب ، ولكنها تمالكت نفسها فقال :

ـ انها رسائل غرامية من مسز انيسلى إلي روجر .

فقالت بعد تردد : لايمكننى إنكار هذه الحقيقة .. فأنا التى أحرقتها

ـ لماذا ؟

ـ لان روجر سوف يتزوج مادج ، وقد رأيت ان وجود هذه الرسائل قد تثير فضيحة بعد انتحار مابل فقررت إحراقها .

ـ ولماذا لم يقم روجر بإحراقها بنفسه ؟ كلا يا مسز جراهام .. لقد عثرت فى غرفته على هذه الرسائل وقررت إحراقها .. من الواضح أنه يوجد شئ ما يخيفك فما هو ؟

ـ اننى لست خائفة .

ـ بل إنك خائفة ومضطربة .. إنك تخشين القبض على روجر بتهمة القتل .

امتقع وجه المرأة وهتفت قائلة : القتل ؟

ـ نعم .. فقد سمعت مابل وهى تدخل إلي غرفة روجر ليلة أمس ، ولاشك أنه صارحها بعزمه على الزواج من مادج فثارت بينهما مشادة عنيفة و ..

وهنا سمعا صوتاً خشناً يقول : كلا .. إن هذا كذب واختلاق .

كان روجر هو المتحدث بعد أن تسلل إلي الغرفة ثم أردف قائلاً :

ـ أرجو ألا تخافى يا أماه .. هيا معى إلى غرفتى يامستر ساترويت .

أغلق روجر الباب ثم قال :

ـ مستر ساترويت .. من الواضح أنك تعتقد اننى قتلت مسز انيسلى هنا بغرفتى ثم حملتها إلي غرفتها وقمت بتعليقها في الباب .

قال ساترويت متلعثماً : في الحقيقة .

ـ حسناً يامستر ساترويت .. من المستحيل أن أقتل مابل لأننى كنت يوماً أحبها ، ربما كان وهماً وليس حباً حقيقياً ، ولكننى وجدت هذا الحب مع مادج التى

تختلف كثيراً ، أما مابل فقد سحرتنى وان كنت أشعر ببعض الخوف من ناحيتها .. وقد كنت أنوى مصارحتها بالحقيقة ليلة أمس .

- وهل فعلت :

- كلا .. أقسم لك على هذا وعلى أننى لم أرها بعد أن انتهينا من العشاء فى الطابق الأول .

وأدرك ساترويت ان الشاب يقول الصدق وأنه لم يقتلها بل إنه أراد يفر منها ، وأنه لم يحبها حقيقة بل كان مسحوراً بها .. هبط بعد ذلك إلى قاعة الجلوس التى كانت خالية ووقعت عيناه على قيثارة مابل بجوار النافذة فتناولها وراح يداعب أوتارها وهو شارد الذهن .. لم يكن ماهراً في العزف على الآلات الوترية ولكنه برغم ذلك استطاع أن يميز نغمة نشاز فى الوتر الأول .. حاول أن يضبطها بدون جدوى .. دخلت دوريس وقالت بأسى :

- انها قيثارة مابل المسكينة ..

- نعم .. هل يمكنك ضبط الوتر الأول يامس دوريس ؟

- بالطبع

ولكنها ما كادت تضغط عليه حتى انقطع فقالت :

- ما هذا ؟ إنه موضوع فى مكان خاطئ ولابد أن شخصا أحمق هو الذى فعل ذلك .

قال ساترويت بلهجة غامضة : أنت على حق .. فبعضهم يظن نفسه ذكياً !

تناول ساترويت الوتر المقطوع وقدمه لديفيد كيلى وقال له :

- ترى ماذا فعلت بالوتر الأصلى يامستر كيلى ؟

- ماذا تقول ؟

- أعنى الوتر الذى اختفت به مسز مابل انيسلى .. لقد عرفت كل شئ يامستر كيلى ، فقد ارتكبت جريمتك بسرعة مذهلة ، ففي الوقت الذى كنا نصعد السلم

الذى يقع فى نهاية الدهليز أنا ومادج ودوريس لحقـت أنـت بمابـل التـى عـادت لتأخذ القيثارة من غرفة الجلوس ، وكنت أنت قد انتزعت الوتر ، وعندما دخلت المسكينة هاجمتها من الخلف وخنقتها بالوتر وبالطبع لم نسمع صرخاتها المكتومـة بسبب ضحكات دوريس العالية عندما كنا نصعد السلم ، وبعد أن قتلتها غادرت الغرفة مسرعاً وأخذت تطفئ الأنوار ثم لحقت بنـا ، وبعـد أن أوى الجميـع إلـي فراشهم تسللت إلي غرفة الجلوس وحملت الجثة وعلقتهـا فـى بـاب غرفتهـا ثـم وضعت وتراً أخر في القيثارة ومن سوء حظك أنه كان مختلفاً عن الوتر الأصـلى وهذا الخطأ الوحيد الذى ارتكبته وجعلنى أعرف الحقيقة .

لم ينطق ديفيد كيلى فقال ساترويت :

ـ لماذا فعلت ذلك ؟

أطلق الرجل ضحكة رهيبة وقال : حتى يعلم النـاس اننـى لـست إنـساناً تافهـاً لايشعر به أحد .. لقد أردت أن أثبت لكم أننى أفضل منكم جميعاً .

دخل المفتش ويكفيلد وسمع اعترافات ديفيد فألقى القبض عليه .

* * * *

وفى القطار وجد ساترويت نفسه جالساً أمام هارلى كوين فقال له :

ـ مستر كوين .. لقد فشلت مهمتى ولم أنجح فى إنقاذ الضحية .

ـ ولكنك نجحت في الوصول إلي القاتل وهذا نجاح عظيم ، فلـو لم تفعـل لاتهـم شخص آخر بالقتل وهو برئ .

ـ ولكننى حزين من أجل هذه المرأة الساحرة .

قال كوين : ربما كان من الأفضل أن تموت فى هذا الوقت حتى لاتثير فضيحة قـد

تهدم حياة الكثيرين .

وقبل أن يعقب كان هارلى كوين قد اختفى .

* * * *

الفصل السابع

شعر مستر ساترويت بالسعادة البالغة عندما طلبت منه الدوقة اوف ليث أن يصاحبها فى رحلتها إلى جزيرة كورسيكا لقضاء عدة أيام فى الصيف .

كانت تقدر ساترويت وتحترمه وتحب سماع آرائه .

عرفت ليدى أوف ليث العجوز بعزابة أطوارها .. فهى امرأة ذات أصل عريق ورثت ثروة ضخمة عن أبائها كما ورثت مجموعة ثمينة من الجوهرات ، وكانت تثبت هذه الجوهرات فى ملابسها بطريقة عشوائية فما أثار الضحكات دائماً .

وتميزت أيضاً بالحرص فى انفاق المال ، فهى تتعمد استعارة سيارات أصدقائها وتشترى كل حاجياتها من الأماكن التى يوجد بها خصم كبير وفي مواسم التخفيضات .

ومن العجيب أنها رغم حرصها الشديد على المال كانت تتبرع بمبالغ طائلة للجمعيات الخيرية وتترفق بمن يستأجرون أملاكها .

وقد ذهبت إلى جزيرة كورسيكا لقضاء الاجازة الصيفية لأن تكاليف المعيشة ليست مرتفعة كما هو الحال على شواطئ الريفيرا ، بالإضافة إلـي جمال الجزيرة ووجود عدد كبير من الأماكن السياحية والأثرية بها .

وصلا إلى ميناء أجاكسيو فجلسا للراحة في الفندق المتواضع وراحت الليدى تفحص الجالسين بواسطة منظارها ثم قالت وهى تشير الى فتاة تجلس بمفردها :

ـ من المؤكد أن هذه هى نوامى كارلتون سميث .

كانت الفتاة ترتدى ثوباً رخيصاً وتترك شعرها الأسود ينسدل على وجهها وكتفيها بدون عناية فقال ساترويت : من الواضح أنها فنانة .

ـ نعم .. إنها تقول عن نفسها انها فنانة .. فهى رغم فقرها المدفع الا أنها شـديدة الغرور مثل آل كارلتون سميث ، فأمها هى ابنة عمـى .. خطبـت إلى شـاب حقـير يدعى انه مؤلف مسرحى وشاعر ، وقد أدين بتهمة سـرقة مجـوهرات وألقـى فـى السجن .. ترى هل تذكر هذه القضية التى شهدتها المحكمة فى الشتاء الماضى ؟

ـ كلا .. لقد كنت فى مصر

واصلت المرأة التحديق في وجه الفتاة بمنظارها ثم قالت :

ـ من الواضح أنها تعانى من الفقر الشديد وهذا ما يؤلمنى

ثم نهضت من مقعدها واتجهت إلي الفتاة وربتت على كتفها وقالت :

ـ نوامى .. هل تذكرينني ؟

قالت الفتاة بلا أكتراث :

ـ بالطبع يادوقة .. فقد لمحتك وأنت تنزلين بالفندق وظننت أنك لم تعرفينى .

تجاهلت الدوقة لهجة الفتاة المستهترة وقالت بلهجة أمرة :

ـ بعد أن تفرغى من تناول إفطارك تعالى إلى مائدتى ..

وبعد قليل خضرت الفتاة وجلست علـى مقعـدها بـتراخ بينمـا راح سـاترويت يتأمل وجهها وقال لنفسه : انها ليست جميلة ولكنها شديدة الذكاء وشقية أيضاً .

قالت الدوقة : ترى ماذا تفعلين الآن يانوامى ؟

ـ لاشئ .. اكتفى بمشاهدة الدنيا .

ـ هل تمارسين فن الرسم ؟

ـ أحياناً

قالت الدوقة بلهجة آمرة : أريد مشاهدة أعمالك

ابتسمت الفتاة ساخرة من طريقة الدوقة ولكنها صدعت بالأمر وذهبت لإحضار بعض أعمالها ، وعادت وهى تحمل عدة لوحـات حديثـة عرضـتها عليهمـا وهـى

تقول : ما رأيكما بصراحة ؟

قالت الدوقة وهى حائرة : إننى لاأفهم شيئاً على الاطلاق .. هـل هـى مقلوبـة أم فى وضعها الطبيعى ؟ واللوحة الثانية .. ما أفظعها .

وقال ساترويت : إن هذه اللوحة تثير الخوف .

قالت نوامى وهى تبتسم إنك رجل واسـع الـذكاء ، فهـذا هـو الغـرض الـذى أهدف إليه من رسم اللوحة .

كانت اللوحة مرسومة بإتقان شديد وتصور بعض الفواكه الفاسـدة التـى تظهـر فيها الديدان فقال ساترويت : ماثمنها ؟

ـ ثمن اللوحة خمسة جنيهات فقط ويمكنك أن تشترى مايعجبك

فوقع اختياره على اللوحة الثانية فقالت بلهجة تعبر عن الاحترام :

ـ لقد أحسنت الاختيار ياسيدى .. فهى أفضل اللوحات بالفعل

ـ إننى واثق أنها ستدر على ثروة طائلة إذا مافكرت فى بيعها بعد سنوات

تضاعف احترام الفتاة لساترويت بينما قالت الدوقة :

ـ ماهذا الذى تقول يامستر ساترويت ؟ إن كل ما أراه لايعتـبر مـن قبيـل الفـن . علي الاطلاق .. حسناً يانوامى .. هل توجد لديك سيارة ؟ أريد استعارتها للقيـام برحلة إلى الجبال .

ـ نعم .. سيارة صغيرة ذات مقعدين فقط

ـ رائع .. يمكن أن يجلس مستر ساترويت فى المقعد الصغير الذى يوجد بالخلف

قالت نوامى : لن تتحمل السيارة القديمة وعورة الطريـق الجبلـى الـصاعد وبهـا ثلاثة أشخاص ، وبإمكانك استئجار سيارة من الجراج .

قالت الدوقة بدهشة : ماذا تقولين ؟ استأجر سيارة ! اه .. من هذا الرجـل القـادم ذو الوجه الأصفر ؟ لقد جاء في سيارة كبيرة .

ـ انه مستر توملينسون وهو قاض هندى متقاعد

ـ يبدو أنه رجل مهذب .. سوف أذهب لأتحدث معه .

* * * *

عندما هبط ساترويت إلى بهو الفندق فى المساء لاحظ أن الليدى ترتدى ثيابها الفاخرة وتتحلى بجواهرها الرائعة وتجلس مع مستر توملينسون (صاحب السيارة الكبيرة) وعندما لمحته قالت :

ـ مستر ساترويت .. تعالى إلي هنا لتستمع إلى الحديث الممتع لمستر توملينسون .. انه سيصحبنا غداً فى رحلة جبلية فى سيارته .

تعجب ساترويت بينما أردفت المرأة قائلة :

ـ سوف يتناول مستر توملينسون العشاء على مائدتنا ليواصل سرد حكاياته الممتعة وبعد العشاء وانصراف الرجل قال ساترويت :

ـ انه رجل مهذب .. ويمتلك سيارة كبيرة .

ـ أيها الخبيث .. سوف تأتى معنا نوامى فى سيارتها .. انها بحاجة إلى من يأخذ بيدها ويرشدها إلى الطريق الصحيح ، ومن سوء الحظ انها أنانية لاتفكر فى أحد إلا نفسها .

ـ لاأعتقد ذلك ، بل إنها تهتم بأمره ولكنها تعجز أمامه ولذلك سيطر عليها اليأس .

وراح ساترويت ينصت إلى العجوز وهى تثرثر بشأن رحلة الغد ..

وفي الصباح حملوا معهم طعام الغذاء وتولت نوامى مهمة إرشادهم فقد أمضت عده شهور بالجزيرة فقال لها ساترويت :

ـ ألايمكنك أن تحمليني فى سيارتك ؟

ـ انها غير مريحة كسيارة مستر توملنيسون الوثيرة المقاعدة ، كما أن سيارتى

ضعيفة لن تتحمل وعورة الطريق .

ـ ولكنك سوف تركبينها .. فلماذا لا أركب معك ؟

قالت بدهشة : ولماذا تريد الركوب معى ؟

كان يخشى أن تستغل الفرصة وتنتحر ، فكل شئ يدل على أنها تفكر فى ذلـك .. اهمالها لنفسها .. لهجتها اليائسة .. نظراتها الحزينة .. ولكنه لم يستطع أن يقول لها ذلك وخشى أن يكون مخطئاً

قال أخيراً : حسناً .. هل يمكن أن أركب معك فى رحلة العودة ؟

قالت ساخرة : اذا قدر لنا العودة !

انطلقت نوامى بسيارتها بسرعة وهى تصعد الطريق الجبلى ومن خلفها السيارة الآخرى وفجأة توقفت الفتاة بسيارتها وقالت :

ـ هانحن قد وصلنا إلى آخر العالم ومن الواضح أن الجو سوف يضطرب .

هبطوا جميعاً بالقرب من قرية صغيرة قالت نوامى :

انها الآن تدعى قرية (كوتى تشيافيرى) وكانت سابقاً تعرف بقرية (آخر العالم)

سارت الفتاة بخطوات بطيئة ومن خلفها ساترويت الذى لحق بها فقالت :

ـ هذا هو نهاية الطريق الوحيد ، ولايعرف أحد ماذا بعد ذلـك إلى أيـن يـذهب ولذلك سمى بأخر العالم .

قال ساترويت : إنه حقاً طريق عجيب .

وفجأة لمح شخصاً مايجلس على صخرة بعيدة وهو يحدق فى اتجاه البحر .

تعجب الجميع لوجود مثل هذا الشخص ، فلم يره أحـد مـن قبـل فـى المنطقـة ، فكيف وصل ؟

تذكر ساترويت شيئاً ولكنه قبل أن ينطق استدار الرجل فقال ساترويت :

ـ ياإلهى .. انه مستر كوين .. الرجل الخفى .. مس كـارلتون أقـدم إليـك صـديقى

العجيب مستر هارلى كوين .. بـل انـه أعجـب شـخص عرفتـه .. فهـو يظهـر في الوقت المناسب دائماً .

صافحت نوامى مسز كوين وهى تقول :

- اننا نقوم بنزهة جبلية ، ويبدو أننا سوف نموت من البرد .

قال ساترويت وهو يرتعد :

- سوف نجد حتماً مكاناً نحتمى بـه .. أرأيـت يامسـتر كـوين .. إن مـس كـارلتون تطلق على هذا المكان آخر العالم

- معها حق .. هل هذه السيارة الصغيرة هى سيارتك ؟

- نعم .. انها سيارة صغيرة وقديمة

- عليك بالحذر خشية أن تنقلب بك فى الهاوية

وبعد قليل انضم إليهم الدوقة والقاضى فقدم ساترويت إليهما صـديقه ، وبعـد أن انفردت الدوقة بساترويت قالت له بحدة :

- من هذا الرجل ؟

- لاأعرف على وجه التحديد .. أننا نلتقى مصادفة بين وقت وآخر

- من الواضح أن لديه القدرة للنفاذ إبى أعماق النفوس ، فله نظرات نفاذه ..

وبدأ الجليد يتساقط بغزارة فقال كوين إنه يعرف كوخـاً حجريـاً مخصـصا لإيـواء السائحين إذا هاجمهم الجليد وفي الطريق قال :

- ان صاحبة الكوخ تقدم القهوة للضيوف مقابل أجر زهيد .

كان الكوخ متوسـط الحجـم بـه مـدفأة ضـخمة ، رحبـت صـاحبته الكورسـيكية بالضيوف ، وكان هناك ثلاثة سياح يجلسون إلي مائـدة صـغيرة .. رجـلان وامـرأة يبدو أنها دوقة هى أيضاً .. كانت طويلة القامة انيقـة الملابـس مهذبـة الـسلوك ، وبجوارها جلس رجل ناصع البياض رمادى الشعر يرتـدى ملابـس سـوداء أنيقـة

للغاية ويضع على عينيه نظارة ، وعلى الناحية الأخرى جلس رجل ضئيل الجسم أصلع .. لايثير الاهتمام .

وبعد لحظات قالت المرأة مخاطبة ساترويت وأصحابه :

ـ يالها من عاصفة عاتية مفاجئة .. ولكن هذا لاينقص من قـدر جزيـرة كورسـيكا الجميلة التى وصلنا إليها منذ فترة قصيرة .

قدم الرجل الأنيق مقعده للدوقة اوف ليث باحترام فـشكرته ثـم جلـست بينمـا قالت السيدة الأنيقة :

ـ لقد وصلنا منذ أسبوع

شعر ساترويت بسحر كلمات المرأة وجاذبيتها التى لاتقاوم كأنها تنطق الكلمات من قلبها قال ساترويت لمستر توملينسون :

ـ هل تعرف الرجل الأنيق ؟ إنه مخرج .. إنه يدعى مستر فاينر وهو مخرج مسرحى

فقالت نوامى كارلتون بصوت حاد : يا إلهى إننى أكاد أختنق هنا .. سـوف أخـرج لاستنشاق الهواء .. فاعتراض مستر كوين طريقها وقال بحزم :

ـ مس كارلتون : أرجو أن تعودى إلى مكانك

ولدهشة مستر ساترويت وجد الفتاة تنصاع للأمر وتعود إلى مقعدها بجوار الآخرين !

تقدم ساترويت إلى المخرج وقال له : ألا تذكرنى يامستر فاينر ؟ إنا ساترويت صافحه فاينر بحرارة وهتف قائلاً :

ـ بالطبع .. اننى أذكرك يامستر ساترويت .. هل تعرف مسز نان ؟

وعلي الفور تذكر ساترويت مسز روزيتا نان الممثلة الرائعة التـى تتميـز بروعـة الإلقاء .. بل إنها أشهر ممثلة في انجلترا ، فرحب بالمرأة بحرارة بينما قدم إليه فـاينر زميله قائلاً :

ـ أقدم إليك مستر جود زوج مسز نان .

كان ساترويت يعلم ان روزينا نان تزوجـت عـدة مـرات ولابـد أن هـذا هـو زوجهـا الأخير ، ولاحظ أن الزوج شديد العناية بزوجته يقدم إليها الطعام باهتمام فقط فاينر :

ـ ان روزيتا شديدة الاهتمام بالطعام ويبدو أنها تعيش لكى تأكل !

كانت تقول لزوجها فى هذه اللحظة : أين الكافيار ؟

قدمه إليها فتناولته بلهفة وقالت :

ـ اه .. إننى كثيرة النسيان ودائماً أنسى أين وضعت أشيائى .

قال زوجها : نعم .. كما نسيت مجوهراتك فى الحمام يوم الجمعة الماضى

ـ من حسن الحظ أن كل هذه المجوهرات مؤمن عليها عدا الجوهرة الزمردية الاوبال .

خامر مستر ساترويت الاحساس بأن أحداثاً سوف تقع ، وأنه هو وكـوين سـوف يقومان بدورهما فيها ، وأن المفتاح فى كلمة الأوبال .. قال لمسز نان :

ـ هل تحدثت عن الجوهرة الأوبال ياسيدتى ؟

ـ نعم .. لقد سرقت منى ولكننى للأسف لم أستردهاحتي الآن .

ـ هل يمكنك أن تحدثينا بتفاصيل السرقة يا مسز نان ؟

ـ نعم .. اننى أتفاءل بالجواهر من نوع الأوبال ، وكانت هذه الجـوهرة مفلطحـة علـى شكل قلب من أندر الأنواع وأنقاها ، وقد حصلت عليها بعد أن حلمت بها كثيراً .

استطاعت مسز روزيتا نان أن تستحوذ على اهتمام الجميع بحسن إلقائهـا وجمـال صوتها .. استطردت قائلة :

ـ وقد سرق هذه الجوهرة النادرة شاب يدعى جـيرارد يعمـل كاتبـاً مـسرحياً قـال فاينر ومن العجيب أن مسرحياته رائعة للغاية ، وقد أخرجت إحداها للمسرح .

قالت مسز نان ضاحكة :

ـ ومن المفارقات العجيبة اننى مثلت دوراً هاماً فى هذه المسرحية وهـى مـسرحية (اولاد راشيل) ، ومازلت أذكره عندما دخـل إلـي غرفتـى بالمـسرح ليتبـادل معـى

الحديث .. كان شاباً خجولاً وسيم الوجه يتميز بالرقة واللطف ، وقد لاحظت أن بعينيه نظرة حزينة شاردة .. فى ذلك الوقت كانت الجوهرة موضوعة فى علبتها فوق منضدة الزينة فتناولها وقال إنه خبير فى الجوهرات ، وراح يفحصها في الضوء ، وعندما انصرف لم أجدها فأبلغت البوليس ، وأحدث خبر السرقة ضجة كبرى في الصحف ، وكان بمثابة دعاية مجانية لى !

قال فاينر : كانت دعاية رائعة .

قالت روزيتا : عثر على علبة الجوهرات فارغة في منزله ، ومن خلال التحريات ثبت أنه كان يعانى من أزمة مالية طاحنة ، وقد أودع فى حسابه مبلغاً مالياً كبيراً فى الفترة الأخيرة ، وادعى أنه وضع العلبة بجيبه سهواً أما عن النقود فادعى أن صديقاً له راهنه على جواد فخسر الرهان وأودع النقود حسابه في البنك ولم يذكر اسم الصديق أو محل إقامته ، ولذلك صدر عليه الحكم بالسجن خمس سنين قضى منها ثمانية أشهر .. وبعد قليل قالت مسز نان لزوجها .

- هنرى .. أين علبة الخوخ ؟

أشار الرجل إلي حقيبتها فتناولتها وأفرغت محتوياتها حتى وجدت العلبة أخيراً ، ولاحظ الجميع وجود صندوق صغير من الهند فتناوله القاضى توملينسون وقال :

- انه صندوق مسحور من الهند .. كيف حصلت عليه يا مسز نان ؟

- من أحد المعجبين .. إننى أضعه دائماً على مائدة الزينة فى غرفتى بالمسرح رغم أن منظره ليس جميلاً .

قال القاضى : من الواضح أنك لاتعرفين سره .. سوف أطلعكم على السر .

كان للصندوق من أعلى مفتاحان صغيران ضغط القاضى أحدهما ليفتح الصندوق ثم طلب من الحاضرين وضع قطعة من الجبن المغلفة بداخله ثم أغلقه ، وعندما فتحه بالضغط على المفتاح الثانى لم يجدوا أثراً لقطعة الجبن !

دهش الجميع وسرت بينهم الهمهمات بينما أعاد مستر توملينسون غلق الـصندوق ثم جعله في وضع مقلوب وضغط على مفتاح غير ظاهر يشبه الحلية ثـم أعـاده إلى وضعه الطبيعى .وهنا شهق الجميع

فقد رأوا قطعة الجبن ومعها الجوهرة الأوبال الزرقاء المفرطحة .. وكانت على هيئة قلب !

هتفت مسز نان : جوهرتى الغالية .. يا إلهى .

فقال زوجها هنرى جود : يبدو أنك وضـعتها فـى الـصندوق وضـغطت المفتـاح الثانى سهواً فاختفت

- نعم .. ولكن المهم هو الشاب المسكين جيرارد الذى أدخل السجن ظلماً

فقالت نوامى كارلتون :

- سيدتى .. هل تعلمين من هو الشاب الذى سجنته ظلماً ؟ إنه خطيبـى وحبيبـى لقد كنت على وشك الانتحار .

ثم اندفعت خارج الكوخ وهي تبكى

لحق بهـا كـل مـن سـاترويت وكـوين في الخـارج وكانـت العاصـفة قـد هـدأت وسطعت الشمس فقال كوين :

- لقد انقشعت الغيوم وحان وقت انصرافى .

فقالت نوامى : وماذا عن جيرارد خطيبى ؟

- سوف يطلق سراحه اليوم ومن المؤكد أن مـسز نـان سـتعرف كيـف تـدفع لـه التعويض المناسب وترد له اعتباره .

ثم ابتعد فقال ساترويت :

- الى أين سيذهب ؟

- إلى الطريق الذى لانهاية له ..

ـ حسناً .. هل ستسمحين لى بالركوب معك فى رحلة العودة ؟

قالت ضاحكة : بالتأكيد .. أعتقد أن طريقنا سوف يكون آمناً .

* * * *

الفصل الثامن

كان ساترويت يسير فى شارع بوندستريت مستمتعاً بالشمس المشرقة .. كان في طريقه إلى معرض هاركستر للوحات الفنية لمشاهدة لوحات الرسام العبقرى فرانك بريستو .

وفى المعرض حياة أحد المشرفين وقال :

ـ لقد كنا نتوقع حضورك يامستر ساترويت ، فالمعرض يستحق الزيارة واللوحات رائعة .

راح ساترويت يستعرض اللوحات المعلقة على الجدران ويقف أمام كل لوحة طويلاً يتأمل روعة اللمسات الفنية وجمال الألوان .

وجد نفسه منجذباً للوحة أطلق عليها الفنان اسم " مستعمرة النمل " .. كانت تمثل جسر وستمنستر خلال سير الناس والسيارات عليه .. السيارات الخاصة والعامة .

وبعد قليل انتقل إلى غيرها حتى توقف أمام لوحة جعلته يتسمر في مكانه !

أطلق الفنان على اللوحة اسم " وفاة المهرج " ، وكانت تصور مهرجاً يرتدى ملابسه المميزة ذات اللونين الأحمر والأسود وقد رقد ميتاً على أرض ذات بلاط أبيض وأسود ومد ذراعيه على جانبيه ، وفى الجزء الخلفى من اللوحة جداربه نافذة زجاجية وهى جزء من الشرفة الكبيرة ، ومن خلف الشرفة كان هناك وجه يحملق في جثة المهرج !!

ومما أثار عجب ساترويت أن وجه الرجل الذى كان ينظر من خلف النافذة يشبه وجه المهرج الراقد على الأرض وكأنهما شخص واحد ، ولعله يصور الروح وهى تنظر إلي الجسد عقب مفارقته ، وكان وجه المهرج يشبه كثيراً وجه

صديقي الخفى .. هارلى كوين .

قال لنفسه :

ـ انه هو فلايمكن أن أكون مخطئاً .. ولكن ماذا يعنى هذا ؟

كان ساترويت واثقاً أنه مادام قد رأى هارلى كوين فلابد أن يحـدث شـئ مـا !! إن هارلى كوين لايظهر إلا لينقل إليه رسالة ما أو يلفت نظره لشئ هام .

وكذلك فقد عرف المكان الذى صـوره الفنـان ، فهـو الـشرفة الكـبيرة فـى قـصر اللورد شارنلى

وبعد الانتهاء من جولته بين اللوحات طلب من مـدير المتحـف شـراء اللوحـة ، فأثنى الرجل على ذوقه الرائع وقال إن اللوحة سوف تـساوى الكـثير بعـد فـترة فقال ساترويت ضاحكاً :

ـ ولكنك دائماً ماتقول ذلك يا مستر كوب

ابتسم مستر كوب مدير المتحف وقال :

ـ لأنك دائماً تشترى أجمل اللوحات .. فالجميع يؤكدون أن بريستو فنان مبدع

قال ساترويت بعد أن دفع ثمن اللوحة :

ـ ترى هل مايزال فى سن الشباب ؟

ـ معم .. فهو ، نحو السابعة والعشرين من عمره فقط .

ـ ترى هل يمكن أن يقبل دعوتى على العشاء الليلة ؟ اننى أرغب فى تبادل الحديث معه .

قال مستر كوب : سوف أعطيـك عنوانـه لترسـل إليـه بـدعوتك ، ولاشـك أنـه سيفرح بها كثيراً فأنت معروف بذوقك الفنى الرفيع .

فشكره ساترويت وهم بالانصراف ولكن مستر كوب هتف قائلاً :

ـ مهلاً يا مستر ساترويت .. ها هو فناننا المبدع قد حضر بنفسه وسـوف أقـدمك إليه .

كان الفنان شاباً ضخم الجسم وسيم الوجه حالم النظرات .. وبعد أن تم التعـارف قال ساترويت .

ـ لقد تشرفت بالحصول على اللوحة الرائعة (وفاة المهرج)

قال بريستو وهو يبتسم : لقد أحسنت الاختيار .. فلن تندم على شراء اللوحة .

ـ إننى حقاً معجب بفنك يامستر بريستو وأرجو ألايكون لديك مـانع مـن تلبيـة دعوتى على العشاء الليلة .

ـ من حسن الحظ اننى غير مرتبط بمواعيد الليلة ولذلك يـسرنى قبـول دعوتـك يامستر ساترويت فأعطاه ساترويت بطاقته وحدد معه موعداً فى الثامنة .

وبعد انصراف الشاب قال ساترويت لنفسه :

من الواضح أنه فنان عبقرى ، ولكنه خجول لايعرف قدر نفسه .

* * * *

وصل الفنان إلي منزل ساترويت فى الثامنة والنصف وكان لديه ضيف آخر هـو الكولونيل مونكتون ، وبعد قليل كانوا يجلـسون إلى مائـدة العـشاء وكـان هنـاك مقعد خال فقال ساترويت :

ـ مازلت أنتظر وصول صديق عزيز يدعى هارلى كوين .. هل تعرفه يامستر بريستو ؟

اضطرم وجه الفنان وقال متلعثماً :

ـ نعم .. بل إنه هو الذى أوحى إلى بفكرة رسم اللوحة التى حـصلت عليهـا .. لوحة (وفاة المهرج) ولذلك جاء وجه المهرج شبيهاً بوجه هارلى كوين .

كان الكولونيل يتأمل الفنان الشاب بدهشة بينما قال ساترويت :

ـ هل تعلم أننى اشتريت اللوحة من أجل هذا الشبه بين المهـرج وبـين صـديقى العزيز هارلى كوين ؟ وأعرف أن المكان الذى صـورت فيـه اللوحـة هـو الـشرفة

الكبيرة بقصر اللورد شارنلى .

ـ نعم ..

ـ لقد تشرفت بالنزول ضيفاً على اللورد شارنلى قبل أن تقع الماساة .. هل تعرف أحداً من أفراد أسرته ؟

قال بريستو : كلا .. وقد رسمت الصورة بالقصر بناء على اقتراح مستر كوين .

وبعد قليل قال ساترويت :

ـ لقد قمت بزيارة قصر اللورد شارنلى مرة واحدة فقط بعد المآساة .. انه قصر غامض مثير للاهتمام قال بريستو :

ـ نعم .. فهو قصر تاريخى محاط بالأسرار

قال الكولونيل مونكتون : نعم .. فقد سمعت أن هناك شبحين بالقصر .. شبح تشارلز الأول الذى يجوب أنحاء القصر وهو يحمل رأسه تحت ذراعه ، وشبح السيدة ذات الوعاء الفضى ، ويقال إنها تظهر عقب وفاة أحد من آل شارنلى ..

قال بريستو ساخراً : من المؤكد أنها خرافات

فقال ساترويت : كلا .. إن سوء الطالع يلازم أفراد الأسرة جميعاً ، فأربعة من الذين يحملون اللقب لقوا نهاية بشعة وأخيراً انتحر اللورد شارنلى ..

قال الكولونيل مونكتون بأسى :

ـ لقد كنت هناك عندما وقعت هذه المآساة الأخيرة

قال ساترويت :

ـ لقد مضى عليها الآن حوالى أربعة عشر عاماً ورغم ذلك فما يزال القصر مهجوراً لايقربه أحد قال الكولونيل :

ـ لقد جعلتنى أعود بذاكرتى إلى الوراء وأتذكر كيف كان وقع الصدمة أليماً علي عروس اللورد الشابة .. كانت فتاة رائعة الجمال تناهز السابعة عشرة من

عمرها ، وكانت قد تزوجت منذ شهر قبل أن تقع المآساة ، وأمضيا شهر العسل ثم عاد إلى القصر فأقام اللورد شارنلى حفلة تنكرية بهذه المناسبة ، وبينما كان المدعون يتوافدون على القصر دخل اللورد غرفة يطلق عليها (غرفة السنديان) ثم أغلق الباب على نفسه وانتحر .. ولم يصدق أحد أن يفعل اللورد ذلك .. ماهذا .. ماذا تقول يامستر ساترويت ؟

- لم أقل شيئاً بعد ..

قال الكولونيل معتذراً : معذرة .. لقد تخيلت أن شخصا مايتحدث إلى وهو جالس بهذا المقعد الخالى وأعتقد أن هذا من ذكرى المأساة المروعة .

وبعد قليل استطرد قائلاً :

- انهارت العروس الشابة أليس شارنلى تماماً ، وعندما رأيتها بعد سنوات لم أصدق أنها هى ذاتها العروس الجميلة الفاتنة المتفجرة بالأنوثة .. كانت شبحاً أدمياً ، وأعتقد أنها تعيش بالخارج معظم أوقات السنة .

قال ساترويت وقد أثارته القصة :

- وماذا عن الابن ؟

- انه الآن يدرس في كلية ايتون ، ولا أحد يدرى ماذا سيفعل عندما يبلغ سن الرشد .. هل سيعيد فتح القصر أم لا ؟

قال ساترويت وهو ينهض : هيا بنا إلى غرفة التدخين حتى أطلعكم على بعض الصور الخاصة بقصر شارنلى .

كان تصوير المنازل هو إحدى هوايات مستر ساترويت ، وقد وضع كتاباً أطلق عليه (منازل الأصدقاء) ضمنه هذه الصور الرائعة وكان الكتاب مثار اهتمام الأصدقاء وموضع مباهاتهم .

قدم إحدى الصور إلى بريستو وقال :

ـ هذه صور الشرفة التى رسمت فيها صورتك ، وقد التقطتها في الصيف الماضى ..
هل ترى السجادة الرائعة التى تظهر بجانب الشرفة ؟
ـ نعم .. لقد لفتت نظرى بألوانها المتوهجة التى تشبه النار ، ولكن وضعها على أرضية الشرفة لايتلاءم مع الذوق السليم ، فهى صغيرة جداً كبقعة دم فوق الأرض ، وتخيلت أن وضع السجادة فى هذا الموضع يعبر عن مآساة غرفة السنديان بطريقة ما !

قال الكولونيل : إن غرفة السنديان هذه مسكونة بالأشباح ، وسمعت أنه يوجد خلف المدفأة باب سرى يخفى خلفه ممراص خفياً ، ويقال إن تشارلز الأول لجأ الى هذا المخبأ مرة وأن اثنين تبارزا فيه بالمسدسات وماتا معاً ، كما نتحر ايجى شارنلى فى هذه القاعة .. إن هذه السجادة تثير الاهتمام حقاً ، فعندما كنت بالقصر سمعت أنها تساوى ثلاثة آلاف جنيه وكانت بقاعة السنديان قبل الحفلة ولاأدرى لماذا نقلت إلى الشرفة ذات البلاط الرخامى ؟

قال ساترويت وهو ينظر إلي المقعد الخالى : ترى من الذى فعل ذلك ؟ ولماذا ؟

قال الكولونيل مونكتون : من المؤكد أنه هذا حدث يوم وقوع المآساة ، لأننى أتذكر أن اللورد وقال لى إنه يريد الاحتفاظ بالسجادة النادرة فى غرفة زجاجية جيدة التهوية حتى لاتبلى

قال ساترويت : ولكن القصر ظل مغلقاً منذ هذا اليوم وكان شئ فى مكانه !

قال بريستو فجأة : ترى لماذا أطلق اللورد الرصاص على نفسه ؟

قال الكولونيل : للأسف لايعرف أحد .

وقال ساترويت : أعتقد أن الأمر مجرد حادثة انتحار.

فنظر إليه الكولونيل بدهشة وقال :

ـ إنه حادث انتحار بالتأكيد ياسيدى فقد ذكرت لك أننى كنت بالقصر وقت

وقوع الحادث .

نظر ساترويت إلى المقعد الخالى وقال ضاحكاً :

ـ من العجيب أن الإنسان يرى بعض الأشيله بوضوح بعد مرور الأعوام

فقال الكولونيل : إننى لاأتفق معك فى هذا .

وكان بريستو يتفق مع ساترويت فى الرأى فقال :

ـ بل إن مستر ساترويت على حق ، فبعد مرور الأعوام يزداد الإنسان خبرة ويرى بوضوح أكثر كان الكولونيل يتلفت حلوه وهو يقول بحدة :

ـ إننى لاأومن بهذه الخرافات ولابتحضير الأرواح أو بظهور الأشباح ، إننى واثق أن الأمر كان مجرد حادث انتحار وقد شاهدت بنفسى كل شئ .

قال ساترويت : أرجو أن تحدثنا بكل شئ حتى ترى الأمور بوضوح .

ـ كما ذكرت لكما .. كانت الأمور تسيطر بطريقة طبيعية حتى وقع الحادث ، وكان اللورد يبدو مرحاً للغاية وهو يستقبل عدداً كبيراً من المدعوين ، ولم يصدق أحد أن يقتل الرجل نفسه في نفس الوقت الذى مايزال المدعون يتوافدون على القصر للتهنئة بالزواج .

قال ساترويت : نعم .. كان من الواجب أن يفعل ذلك بعد أن ينصرفوا على الأقل .

ـ ان الانتحار يعد عملاً شائناً لايجب على المرء الإقدام عليه مهما كانت الظروف .

ـ ولكن اللورد شارنلى كان معروفاً بسلامة ذوقه دائماً .. فهل مازلت مصراً على أنه انتحر .

قال الكولونيل : نعم .. كنا يومها ثلاثة أو أربعة أشخاص تقف على السلم .. أنا ومس ستراندر والجى وارس وشخص أو اثنان آخران .. عبر اللورد شارنلى الردهة إلى قاعة السنديان وذكرت مس ستراندر أن وجهه كان شديد الشحوب

ويبدو عليه الاكتئاب كما كانت عيناه تعبران عـن اليـأس ، ولكنني واثـق أنهـا أخطأت التعبير ، فمن المستحيل على أحدنا أن يرى وجهه وهـو يقـف فـى هـذا الموضع ، وأعتقد أنها قالت ذلك لأن الرجل كان يسير محنى القامة بسبب الهمـوم التى يحملها علي عاتقه ..

وقد نادته إحدى الفتيات وكانت وصيفة إحدى الـسيدات دعتهـا مـسز سـارنلى بدافع العطف فقط ، ويبدو أنها كانت تود إبلاغه برسالة ما ، وعندما لحته قالـت له : (سيدى اللورد .. إن الليـدى شـارنلى تريـد أن تعـرف ..) ولكنـه سـار في طريقة إلى قاعة السنديان ولم يحفـل بهـا ثـم دخـل القاعـة وأغلـق البـاب خلفـه بالمفتاح من الداخل ، وبعد لحظة سمعنا صوت طلقـة ناريـة مدويـة ، فانـدفعنا إلى الردهة للدخول مـن البـاب الآخـر ولكننـا وجـدناه مغلقـاً مـن الـداخل أيـضاً فحطمناه لنجد اللورد شارنلى جثة هامدة على الأرض والمسدس بالقرب من يده اليمنى .. وهكذا ترى ان الأمر لايمكن إلا أن يكون انتحاراً .. وإلا فكيـف تكـون جريمة قتل بلا قاتل ؟

قال ساترويت : ألا يحتمل أن يكون القاتل قد نجح فى الهرب ؟

- كان هذا مستحيلاً ، فللقاعة بابان احدهما يؤدى إلى الـشرفة والآخـر يـؤدى إلى الردهة وكلاهما كان مغلقاً من الداخل بالمفتاح والرتاج أيضاً ..

- وماذا عن النافذة ؟

- كانت أيضاً مغلقة من الداخل .. هل وضحت الصورة الآن ؟

قال ساترويت : ان الجميع كانوا يعتقدون ذلك .

فقال الكولونيـل : لقـد تحـدثت الأشـباح وأقـول لـك بهـذه المناسبة إن بعـض الأوقايل تدور حول غرفة السنديان وأنها مسكونة بالأشـباح ، كمـا أن جـدرانها مازالت تحمل آثار الطلقات التى قتل بها البعض خلال المبـارزات بالمـسدسات ،

وأن هناك بعض الدماء التى لاتزول عن الأرض رغم تغيير الأخشاب ، وأعتقد ان هناك بقعة دماء للورد شارنلى مازالت على الأرض .

- ترى هل نزفت من دماء كثيرة ؟

- كلا .. لقد تعجب الطبيب عندما وجد أن كمية الدماء التى نزفت منه كانت قليلة

- هل أطلق اللورد الرصاص على رأسه ؟

- بل على قلبه

- انها طريقة صعبة للغاية لكى ينتحر المرء ، فسوف يلقى عذاباً أليماً قبل أن يموت بعكس الحال عندما يطلق النار على رأسه .

قال ساترويت : ترى هل رزيت مايؤكد صحة الشائعات التى تتردد عن وجود الأشباح بالقصر ؟

- كلا .. ولكن جميع الخدم يؤكدون أنهم رأوا شبح السيدة ذات الوعاء الفضى .. ترى هل هدأت شكوكك يامستر ساترويت وأيقنت انه حادث انتحار ؟

- نعم .. وإن كان هذا لايمنع من التعجب لشذوذ سلوك اللورد .. فماذا ينتحر وهو واسع الثراء رفيع المركز متزوج حديثاً بإمرأة حسنله ، بل وينتحر فى نفس الليلة التى يحتفل فيها بعودته مع عروسه من شهر العسل ؟ ولكنه فى النهاية مات ..

قال الكولونيل : كانت هناك إشاعات لاحصر لها .

فقال ساترويت : ولاأحد يعرف الحقيقة ، كما أن أحداً لم يستفد شيئاً من وفاة اللورد .. أليس هذا عجيباً ؟

- عدا الجنين الذى كانت زوجة اللورد تحمله فى أحشائتها دون أن تدرى .. لقد قضى هذا المولود على آمال هوجو شانلى شقيق اللورد الراحل ، فعندما أعلن أن زوجة أخيه حامل ظل يترقب لحظة مولد الطفل وهل سيكون ذكراً أم أنثى ، ففى الحالة الثانية سوف يرث اللقب والثروة ، ولكن حدث العكس وجاء ذكراً

ليرث كل شئ وتتحطم آمال هوجو شارنلى ..

ـ ماذا فعلت زوجة اللورد ؟

ـ لن أنسى منظرها ماحييت .. فهى لم تبك بل بدت كتمثال بلاحياة ولاروح ، غادرت القصر وكرهت أن تراه بعد ذلك وأعتقد أنها لن تفكر فى العودة إليه أبداً .

قال بريستو ساخراً : ترى هل توجد امرأة في حياة اللورد كانت وراء المأساة ؟ أو رجلاً في حياة زوجته ؟

قال ساترويت : ان هذا محتمل .

وقال الكولونيل : أعتقد أنها كانت امرأة فى حياة اللورد لأن زوجته لم تتزوج حتى الآن .

قال بريستو : إننى أمقت كل النسله ، فوراء كل مآساة امرأة ، وطوال حياتى لم ألتق بامرأة أثارت انفعالى إلا مرة واحدة .. التقيت بها مصادفة خلال عودتى من رحلة إلى شمال انجلترا .. كنا نجلس معاً فى مقصورة واحدة ومنذ اللحظة الأولى بدأنا الحديث وربطت بيننا عاطفة قوية ورغم أننى لم أعرف اسم هذه المرأة الا أننى لن أنساها ماحييت ، والآن أدركت لماذا أعجبت بها .. كان ذلك بسبب هالة القدسية التى أحبطت بها .. كانت تبدو كإحدى نسله الأساطير .

هز ساترويت رأسه وهو يعلم أن فنان مثل بريستو جدير بأن ينجذب إلى امرأة من هذا النوع

قال بريستو : أعتقد أن مالحق بالمرأة من روحانية يرجع إلى إصابتها بصدمة شديدة في بداية شبابها ، ولذلك تحاول الهروب من الواقع .

ـ هل تحدثت معك عن المآساة ؟

ـ كلا ، ولكننى عرفت ذلك عن طريق الاستنتاج

قال ساترويت بلهجة ذات مغزى : نعم .. يجب أن يلجأ المرء للاستنتاج .

في هذه اللحظة دخل الخادم وقال لمستر ساترويت :

ـ مس انسباسيا جلين تريد مقابلتك لأمر هام .

شعرت ساترويت بالدهشة لحضور هذه الممثلة المشهورة إليه ، كانت تعرف بالمرأة ذات المنديل لأنها مثلت العديد من الأدوار وهى تستخدم منديلاً واحـداً تـضعه مرة كغطاء للرأس كفتاة ريفية ، ومرة أخرى كراهية ثم كممرضة وهكذا .. ذهـب إليها في قاعة الاستقبال حيث وجدها جالسة فى ثقـة واعتـداد بـالنفس .. كانـت طويلة القامة .. خمرية اللون فى نحو الخامسة والـثلاثين مـن عمرهـا .. رائعـة الجمـال .. قالت :

ـ أرجو المعذرة لهذه الزيارة المفاجئة يامستر ساترويت فالأمر هـام للغايـة .. فمنـذ فترة طويلة وأنا أريد أن أتعرف بك .

قال ساترويت بلهجة مهذبة :

ـ إننى سعيد بحضورك يامس جلين فأنا شديد الإعجاب بأدوارك الرائعة

ـ شكراً لك يامستر ساترويت .. لقد حضرت بخصوص لوحة (وفـاة المهـرج) .. فعندما ذهبت اليوم لمشاهدتها فى المعرض وأردت شراءها قبـل إنـك اشـتريتها .. سيدى .. إننى أريد هذه اللوحة بأى ثمن .. يمكنك أن تطلب أى مبلغ .

شعر ساترويت بالنفور الشديد من المرأة التى ترغب في نيل كل ماتريد بأى ثمـن دون اعتبار لمشاعر الآخرين ، وبدت أصغر كثيراً مما كان يراهـا منـذ قليـل ، فهـى أنانية ، وقرر ألا يتخلى عن اللوحة بأى ثمن .. وبعد تفكير قال لها :

ـ من الصعب أن يرفض الإنسان أى مطلب للمثلة القديرة أسباسيا جلين و ...

فقاطعته قائلة : اذن فسوف تعطينى اللوحة ؟

ـ ان هذا مستحيل ياسيدتى .. فقد اشتريتها حتى أهديها إلى سيدة ..

قالت متلعثمة : ولكن ..

وهنا رن جرس التليفون فتناول ساترويت السماعة وسمع صوت سيدة تقول :

ـ هل يمكننى التحدث الى مستر ساترويت ؟

ـ إنا ساترويت ..

ـ أنا اليس شارنلى .. هل يمكنك أن تتذكرنى ؟

ـ من المستحيل أن أنساك ياسيدتى .

ـ حسناً يامستر ساترويت .. هل يمكنك التنازل عن لوحة (وفاة المهرج) التى اشتريتها اليوم من المعرض ؟ إننى أريد الحصول عليها لأسباب خاصة .

شعر ساترويت بالراحة ، فقد جاءت المكالمة فى الوقت المناسب وكان يعلم أن اسباسيا جيلن تسمع كل مايقول فقال :

ـ يسعدنى أن أقدمها إليك كهدية .. فهل يمكنك الحضور إلي منزلى الآن ؟ ان هذا هو شرطى الوحيد

ـ بالطبع يامستر ساترويت .. اننى أشكرك على هذا الكرم وسوف أحضر فوراً

وبعد أن وضع السماعة قالت ضيفته بلهجة غاضبة :

ـ هل كنت تتحدث معها عن اللوحة ؟

ـ نعم .. وسوف تصل بعد لحظات .

وبعد قليل ابتسمت وهى تقول :

ـ لقد فهمت .. لاشك أنك دعوتها إلى هنا لإقناعها بالتنازل عن اللوحة من أجلى .

ـ ربما .. يمكنك محاولة ذلك .. والآن هيا بنا إلى القاعة الأخرى فإننى أحب أن أقدمك لبعض الأصدقاء .

فتح ساترويت الباب وقدم مس جلين إليهم ثم قال :

ـ صديقى القديم الكولونيل مونكتون وصديقى الجديد الفنان بريستو

وعندما نظر إلى المقعد الذى كان خالياً وجدها هارلى كوين فقدمه إلي المرأة قائلاً :

ـ هذا صديقى القديم هارلى كوين

ولاحظ ساترويت أن المرأة تراجعت قليلاً عندما نطق باسم هارلى كوين ثم تمالكت نفسها وقالت لبريستو :

ـ ترى ماالذى دفعك لرسم هذه الصورة ؟

نظر بريستو إلى مستر كوين ثم قال :

ـ لست أدرى .. لقد وجدت القصر مثيراً للخيال خاصة ماذكر عن أشباحه ، وقد أوحى إلى صديق برسم اللوحة وحدثنى عن مآساة اللورد شارنلى .

دخل الخارم وأعلن حضور الليدى شارنلى فأسرع ساترويت لاستقبالها .. كانت تناهز الثلاثين من عمرها ، ووجد نفسه يقارن صورنا الآن بصورتها عندما كانت عروسا صغيرة رائعة الجمال متفجرة بالأنوثة والحيوية ضاحكة الثغر .. بدت الآن شفافة الروح مرهفة الاحساس .

رحب بها سترويت ثم قادها إلي الغرفة حيث يجلس الآخرون ، وبدا أنها تعرف الممثلة الشهيرة فتقدمت لمصافحتها ولكن المرأة لم تتحرك فقالت الليدى شارنلى :

ـ معذرة .. ظننت أننى أعرفك .

قال ساترويت بلباقة : من المؤكد أنك رأيتها على خشبة المسرح ، فهى الممثلة الشهيرة اسباسيا جلين .

فقالت الممثلة : إننى سعيدة بحضورك يا ليدى شارنلى .

وعندما قدم إليها ساترويت الرسام بريستو قالت : لقد التقيت به مرة فى القطار .

وقالت إن زوجها تحدث مرة أو مريتن عن مستر هارلى كوين خلال حديث مع أصدقائه .

قال ساترويت وهو ينظر إلى كوين : لقد جمعتنا الصدفة من أجل لوحة وفاة المهرج ، ويمكننا الآن معرفة كافة الحقائق رغم مرور عدة سنوات على المآساة ..

قالت الليدى بدهشة : أية حقائق ؟

ـ مأساة زوجك .. ربما شعرت بالألم لهذا الحديث ولكن ..

ـ كلا ياسيدى .. فلم أعد أتألم لأى شئ .

راح ساترويت يتأملها وقد بدت كملاك مرهف المشاعر رقيق الإحساس وقال فجأة :

ـ لقد جعلتنى أتذكر السيدة ذات الوعاء الفضى التى ..

وهنا سقط قدح القهوة من يد آسباسي جلين على الأرض .. بينما قال ساترويت :

ـ كلنا نلعم أن اللورد شارنلى قتل نفسه .. ولكن لانعلم لماذا فعل ذلك .. إننا الآن نقترب من الحقيقة

قال بريستو : أعتقد أن الليدى شارنلى تعرف

فقالت بلهجتها الهادئة : نعم .. ولذلك أرفض دخول القصر .

ـ ألايمكننا أن نعرف ؟

ـ لقد عرفت الحقيقة عندما عثرت على خطاب بين أوراق زوجى وبعد أن قرأته أحرقته .

ـ ماذا قرأت به ؟

ـ كانت فتاة فقيرة تعمل مربية للأطفال لدى أسرة ميربام تعرف عليها زوجى وأحبها وحملت منه الفتاة ، وظلت العلاقة بينهما قائمة حتى بعد أن خطبنى ، فأرسلت إليه تهدده بإبلاغى بالحقيقة وأنها سترفع الأمر الى القضاء ولذلك قتل نفسه .

فقال الكولونيل مونكتون :

ـ اذن فهذا هو سبب انتحاره .

قال ساترويت : ولكن لماذا رسم مستر بريستو الصورة ؟ يمكننى أن أستنتج أنه من خلال شفافية روحه كان يرمز للمأساة بالجسد الملقى في الشرفة وبالروح التى تراقب من خلف النافذة

قال الكولونيل : ولكن جثة اللورد كانت بقاعة السنديان وليست بالشرفة كما

تصور اللوحة

- بل إن الجثة كانت فى الشرفة أولاً ثم نقلت إلي قاعة السنديان .

قال الكولونيل بدهشة : إن هذا مستحيل فقد رأينا اللورد وهـو يـدخل إلى قاعـة السنديان على قدميه ..

- هل رأيت وجهه ؟ ألا يمكن أن يكون شخـصا آخـر يرتـدى العبـاءة التـى كـان يرتديها فى الحفلة التنكرية ؟ هل تعلم لماذا اعتقدتم أنه اللورد ؟ لأن الفتـاة نادتـه لتبلغه بالرسالة .

قال الكولونيل ساخراً :

- حسناً لنعرض أن الذى دخل قاعة السنديان رجل آخر غير اللورد .. فأين ذهب وقد كانت الأبواب والنافذة مغلقة من الداخل ؟

- لقد ذكرت لنا أن هناك مخبأ سريا في الجدار

- ولكن ..

- كلا ياسيدى .. إن الأمور قد وضـحت الآن ، فقـد قتـل شـخص مـا اللـورد في الشرفة ثم تعاون مع شخص آخر على سحبه الى قاعة السنديان ووضع المـسدس بجواره ، ثم دخل هذا الشخص وهو يرتدى عباءة اللورد إلي القاعـة حتـى يظـن الجميع أن هو اللورد ، وكان بارعاً للغاية عندما اتفق مـع الفتـاة علـى أن تناديـه بإسم اللورد ، وبعد أن دخل وأغلق الباب خلفه أطلق رصاصة على الجدار الذى كان به عشرات الثقوب من قبل ، وبالتالى فلم يلاحظ أحـد أن ثقبـاً جديـداً قـد أضيف إليها ، وعقب ذلك اختفـى في المخبأ الـسرى ، ومـن الطبيعـى أن يظـن الجميع أن اللورد انتحر فقد ارتكبت الجريمة بمهارة شديدة .

قال الكولونيل : ولكننى مازلت أعتقد أنه انتحر ، والـدليل هـو الخطـاب الـذى عثرت عليه الليدى .

- بل إنه خطاب مدسوس كتبه شريكة القاتل ، وهى ممثلة مغمورة كانت تأمل أن تكون هى الليدى شارنلى عقب وفاة اللورد

- ماذا تعنى بذلك ؟

- القاتل كان هو هوجو شارنلى شقيق اللـورد الراحـل والمعـروف بفـساده منـذ طفولته وقد شاركته في لاجريمة عشيقته .. ليدى شارنلى ماذا كان اسم الفتاة التـى كتبت الخطاب ؟

- مونيكا فورد

فقال ستروبت للكولونيل مونكتون : هل هى التى نادت علي اللورد يومها ؟

قال على الفور : نعم .. كانت هى .

فقالت الليدى شارنلى : ولكن هذا مستحيل ، فبعد وفاة زوجى التقيت بمونيكـا وأخبرتها بأمر الخطاب وذكرت أنها كانـت علـى علاقـة بزوجـى حقيقـة .. فهـل كانت ممثلة بارعة إلى هذا الحد ؟

نظر ساترويت بحدة إلى أسباسيا جلين وقال :

- من سوء الحظ أن أحداً لم يقدر براعة هذه الفتاة في التمثيل إلا مؤخراً

قال بريستو : الشئ المحير هو كيف تمكن القاتـل مـن إزالـة الـدماء بـسرعة مـن أرضية الشرفة ؟

قال ساترويت وهو يبتسم : إنه لم يفعل شيئاً أكثر مـن نقـل الـسجادة مـن قاعـة السنديان ليغطى بها بقعة الدماء ، ولم يستغرق الأمر أكثر من دقيقة .

- ان هذا تفسير معقول .. ولكن كان من الضرورى إزالة آثار الدماد عن السجادة .

- لقد حدث هذا بالفعل عقب الحادث ، حيث استغل الجرمان إشـاعة المـرأة ذات الوعاء الفضى فارتدت الممثلة ثياباً بيضاء وحملت وعاء فضيا وتسللت إلى الشرفة لإزالة آثار الدماء دون خوف من أحد ، فالجميع يخافون الشبح ويهربون . ولذلك

سقط منك قدح القهوة يامس جلين عندما تحدثت عن الشبح .. وعندما شاهدت صورة وفاة المهرج شعرت بالخوف وجئت لشرائها وخطر ببالك أن هناك من رآك أثناء ارتكاب الجريمة .

أخذت الليدى شارنلى تحدق في وجه الممثلة ثم صرخت قائلة :

- لقد عرفتك .. أنت مونيكا فورد

وثبت أسباسيا واقفة وقالت لهارلى كوين :

- لقد كنت على حق عندما ذكرت أن شخصا ما كان يراقبنا .. كنت أنت ترانا من النافذة خلف الشرفة .. لقد لمحت وجهك وأنت تراقبنا ثم تختفى ، ولذلك ظللت أعيش فى حالة من الرعب طيلة السنوات الماضية ، وما كدت أرى الصورة حتى تعرفت على وجهك .. ترى لماذا ظللت صامتاً طوال هذه الأعوام ولم تذكر الحقيقة ؟

قال كوين : حتى يستريح الموتى في قبورهم .

اندفعت أسباسيا نحو الباب وقالت : يمكنكم أن تفعلوا مايحلو لكم .. لقد أحببت هوجو وشاركته فى ارتكاب الجريمة ولكننا لم نحصل على الثروة ثم مات هو بعد ذلك ، ولن يمكنكم القبض على لأننى أجيد التنكر وسوف أغادر البلاد بعد أيام .

وسمعوا صوت الباب الخارجى وهو ينصفق خلفها بحدة فهتفت الليدى شارنلى وهى تبكى :

- ياإلهى .. لقد ظلم زوجى كثيراً .. لقد غضبت منه وظننت انه خانتنى ، أما الآن فإننى أرجو أن يغفر لى .. سوف أذهب إلى القصر لأعيش فيه .. شكراً لك يامستر ساترويت فقد أعدت إلى الحياة .. وأنت يامستر بريستو .. انك عبقرى حقاً وأتمنى ان تقبل دعوتى لزيارة القصر في وقت قريب حتى ترسم المزيد من اللوحات الرائعة .

وبعد أن أتصرفت قال ساترويت للفنان بريستو :

ـ ماذا تنتظر ياصديقى ؟ انها تحبك .. ألم تشعر بهذا ؟

اضطرم وجه الشاب وقال :

ـ هل تعتقد هذا حقاً ؟

أراد ساترويت ان يقول شيئاً لمستر هارلي كوين ولكنه كان قد اختفى فجأة كما ظهر فجأة فقال :

ـ من المؤكد أنك عندما تحدثت مع مستر كوين عن لقائك بالسيدة في القطار أوحى إليك برسم اللوحة وكان يعرف كل النتائج التى سوف تترتب على ذلك .. لم يكن بهدف إلى القبض على القاتل بقدر ماكان يهتم ببعث الحياة فى قلب وجسد الزوجة التعيسة .. هيا ياصديقى الحق بها فأنها تحبك .

* * * *

تـــمت